المسخ زيارة الخورجي

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

صفحات خالدة
من الفكر العالمي

١

الشيخ
بشارة الخوري
(الأخطل الصغير)

بقلم

مارون عبود

منشورات دار المكشوف

طبع من هذا الكتاب الف نسخة على ورق ميفان .

DS
87.2
.K45
A2

الطبعة الاولى ، بيروت – لبنان ، ايلول ١٩٥٠

جميع الحقوق محفوظة لدار المكشوف

HR SEP 2 4 1974 12060 F

الإنسان

الاخلاق الثابتة تكتسب بتعودهـا ،
فتصير سجية .
احد المربين

عرفتُ بشاره خليل الخوري وقد تحيّر في وجهه ماء الشباب . اذكره فتى ابن ثمانية عشر ، ملء برديه الفتوة . وظلتْ حبال تلك المعرفة غير منصرمة ، فلم اكن منه بالقريب القريب ، ولا بالبعيد البعيد . وظللنا كذلك حتى استولى على أمد العزة ، وصح فيه ما قيل : مجد لبنان اعطيه .

عرفته طالباً في كلية الآباء اليسوعيين يوم قبلت فيها استاذاً ، ثم تقلص ظلي قبل ان انتصفت السنة . كنت محرر جريدة النصير الاسبوعية الحرة ، وكان بشاره طالباً يلفت النظر ذكاؤه وادبه ولباقته . كان تلميذاً بارزاً في محيط تلك المدرسة ، متحفزاً يتحين الفرصة للظهور بل للوثوب . فاسترعى انتباهي له ما قاله لي عنه معلمه انطون الجميل : بشاره بن خليل بك ، كاتب يعجبك ، متضلع من العربية وان كان تلميذ اليسوعية . ويظهر ان التلميذ كان يقرأ النصير في بيت ابيه ، فحاول ان يتعرف بي بلبـاقة هي من طبعه ، وكياسة فطر عليهـا ، واسلوب نشأ عليه في مدرسة البيت .

وتقارضنا الثناء العاطر في تلك الساعة ، شأن الشباب الطالعين ، فهم اشد غروراً من غواني شوقي ... وعرضت عليه ان ازف الى قراء النصير بعض عرائس افكاره الحسان ، فابتسم وقال : يا حبّذاه !

لم ادرك لاول وهلة ما يرمي اليه الفتى البعيد النظر ، الشاب الذي غذي بالحليب والسياسة معاً ، فقلت له : انا اضمن ذلك والامر لي . فقال بابتسامة : والآباء ؟..

فادركت ان ابن خليل بك ابعد مني نظراً ، سياسي في دمه . اشعرتني كلمته تلك بما ينتظرني من مستقبل اسود في ذلك المعهد .

انه ابن بيت عريق في السياسة التي تقتضي الدهاء واللباقة ليسلم رأس صاحبها . كان ابوه في ذلك الزمان ، عام ١٩٠٨ ، ملء سمع « المتصرفية » وبصرها ، وكنت انا واحداً من اصدقائه الكثر . كان مدير القلم العربي ، ولعله كان في يده من السلطان ما ليس في يد كبار موظفي اليوم ، فيدير الكثير من شؤون لبنان الخطيرة والشعب راضٍ عنه . وحين اعلن الدستور واكرهنا دولة المتصرف يوسف فرنكو باشا على حلف يمين الاخلاص للدستور ، وعلى اسقاط الموظفين من مديرين وقائمقامين حتى رئيس المجلس المير قبلان بلمع ، كان خليل بك بمنجاة من مطالبنا [١] .

وادركت ايضاً ان الفتى بشاره يعرف ان جريدة النصير « الحرة » ليست بالطيبة على قلب « الآباء » وان رضوا بمحررها استاذاً

١ راجع جريدة « النصير »، العدد ٢٤٢ ، في ١٥ ايلول ١٩٠٨ .

عندهم[١]. ثم كانت «الواقعة» وكانت النصير لسان حال الموارنة المطالبين بانشاء مجلس ملي تحت رئاسة مطران بيروت الجديد – بطرس شبلي – فامر نيافة القاصد الآباء اليسوعيين باخراجي من مدرستهم ، فاخرجوني آسفين – كذا قال لي الاب كاتين الرئيس – وكان آخر العهد ببشاره خليل الخوري الطالب .

فبشاره ابن بيت لبناني عريق ، جده الفقيه الكبير الشيخ بشاره الخوري ، المتصل نسباً بالخوري صالح . ليس هنا مقام سرد تاريخ هذه الاسرة النبيلة التي لعبت دوراً هاماً في السياسة اللبنانية منذ قرون ، وكانت في جميع ادوارها من الشعب وللشعب . فبشاره الخوري الجَدّ عرف باعتداله واستقامته ، وعلى آثاره درج ابنه خليل بك ، فكانا يحسنان الخروج من المضيق ، وعلى نسقهما سار الابن والحفيد ، بشاره الخوري الكبير .

فالاعتدال والثبات من خواص هذه الاسرة النبيلة ، والحذر طبع في افرادها . كان اللسان العربي المبين ترجمان الجد والاب والابن ، ففخامة الرئيس كاتب اصيل ، ورث الباقول والقلم عن جده وابيه ، فلا ندهش ان رأيناه يبدع ويجيد كاتباً وخطيباً . جعل له والده خليل بك جائزة سنية ان حاز الاولية في اللغة العربية ، فجد حتى ادركها وحاز جائزة ابيه ، وها هو اليوم يحوز اعجاباً عالمياً بفصاحته وبلاغته وعمق تفكيره واتساع ثقافته وعمقها . كل

١ قال الاب شيخو في كتابه «الآداب العربية في القرن التاسع عشر»، ج ٢، ص ١٦٧ : وهل نال اليوم الشعب كل رغائبه لنشدق بعض اهل الثورة كما قال :

والجرايد اظهرت افكارهـا ... بمقدمتهم صار جرنال النصير
وانتقد في كل لهجه قـاسيه ... ما بقا يهمو مليك ولا وزير

هذا يدلنا على ان الشيخ بشاره كاتب غير حديث العهد بالقلم العربي بل ورثه عن جده وابيه ، وزاد عليهما حذقه اللغة الفرنسية التي يكتب بها كالكتّاب المجيدين من ابنائها .

اذا راجعت مجلة المشرق [١] تقرأ لبشاره الشاب رواية عنوانها « خادم امين » قدمتها مجلة المشرق لقرائها هكذا :

« رواية افرنسية عربها ببعض التصرف الاديب بشاره خليل الخوري احد تلامذة كليتنا . »

واذا اتيح لك الحظ وقرأتها رأيت انها ذات عبارة فصيحة ولحمة متماسكة ، نفضت عنها الرطانة فخرجت من تحت قلم الفتى لا غبار على عروبتها ، وان بلغت الخمس عشرة صفحة من القطع الكبير والحرف الدقيق .

ربما تقضي عليّ اصول التأليف — التي لا اتبعها — ان اسير بك على الطريق المعبدة لأعرفك بسيرة حياة فخامة الشيخ معززة بالزمان والمكان ، ولهذا اقول :

ولد رئيسنا الحبيب ببيروت في العاشر من شهر آب عام ١٨٩٠ . وهو سليل اسرة مشايخ بني صالح الخوري من رشميا — الشوف — . حضر جده الأبعد الشيخ عبد الله مع الامير حيدر الشهابي الوالي « شر عين داره » الشهير ، وابلى البلاء الحسن في تلك الوقعة ، فاقطعه الامير حيدر « رشميا » ورفع عنها المال الاميري وترك له الجزية [٢] . ثم ظل مستشاراً له حتى عام ١٧٣٢ .

١ السنة الثامنة ، العدد التاسع ، ايلول ١٩٠٨ ، ص ٦٧٦ .

٢ الشدياق ، تاريخ اعيان لبنان ، ص ١٠٤ .

واذا مرّ الزمن وبلغنا عصارى عهد الامير بشير الكبير رأينا سعادته يرسل الشيخ بشاره الخوري جد الرئيس الاقرب الى طرابلس ليدرس الشريعة – الفقه – على علمائها . وبعد انقضاء عهد الدراسة لازم الشيخ بشاره الامير مدة كان فيها مستشاره القانوني ، ولما اديل من الامير عين الشيخ بشاره قاضياً للنصارى في قائمامية الدروز . ولما جاء عهد المتصرفية عينه داود باشا المتصرف الاول مستشاراً في مجلس المحاكمة الكبير .

اما ابنه خليل بك ، والد شيخنا العظيم ، فعين في بدء عهده بالوظائف كاتباً في محكمة الحقوق الاستئنافية ، ثم صار رئيساً لكتبتها . وعام ١٨٨٧ عين مديراً للقلم العربي ، وقد عرفناك بهذا المنصب وشأنه منذ هنيهة . وكذلك عرفت ان فخامة الرئيس تلقى دروسه في كلية الآباء اليسوعيين ، وحاز شهاداتها بتفوق عام ١٩٠٩ .

ودخل جامعة باريس فدرس الحقوق ، فكان « طالب حقوق » حقاً ... نال الشهادة في الزمن المحدد ، وما رسب قط في جميع ادوار الامتحان ، بل عاد الى لبنان عام ١٩١٢ حاملاً في حقيبته جائزة الشرف ، فانخرط في سلك المحامين . ثم هرب « المخلص » الى مصر عام ١٩١٥ واقام فيها محامياً يرافع امام المحاكم المختلطة . ولعل لتلك الرحلة الميمونة ابعد الاثر في سياسة فخامته الرشيدة . انها لم تبد صارخة كما بدت في حياة المير بشير ، ولكنها وجهت الشيخ هذا التوجيه الحكيم في حقل السياسة القومية . « يا مصر دمت بالافراح » . وهكذا كان له في هذه السفرة ست فوائد لا خمس كما زعم الشاعر .

ولما القت الحرب اوزارها عاد الى بلده الامين عام ١٩١٩ فشغل وظيفة امين سر عام للحكومة في ذلك العهد، ثم عاف منصبه ليعود محامياً. ثم رجع الى حقله فانخرط في سلك القضاء فكان رئيس محكمة الاستئناف فاحيا ذكر جده في الشرع.

وغادر القضاء سنة ١٩٢٦ فكان وزير داخلية في وزارة اوغست باشا اديب فنحا نحو ابيه في السياسة. وتولى رئاسة الوزارة بين عام ١٩٢٧ و ١٩٢٩ فابدى للانتداب انه رئيس حكومة حقاً.

شخصيته

ان المستقبل لا يستوحي . لا يستطاع
بنيانه الا بالمواد التي ورثناها عن الماضي .
دركهايم

واتقِ الله فتقوى الله مـا جاورت قلب امرىء الا وصل

عرفنا الرئيس بشاره خليل الخوري يافعاً من مسافـة قريبة ، وفي زمن قصير الاجل ، اما بشاره الرجل فعرفنـــاه من مسافة ابعد ، وتجلت لنا عبقريته الفذة من خلال ما قال وعمل . فشخصيته لا ينبئك ظاهرها بباطنها ، فهي معقدة متشابكة الخطوط . واذا كان للمربي التأثير العظيم في تحول الشخصية وتطورهـا ، وكان للوراثة عملها الخطير في تكوين الرجل ، فبشاره ربيب بيت عريق في تقوى الله ومحبة لبنان . فهو اباً عن جد وجد الجد ، ممن خدموا هـذا الوطن باخلاص وشاركوا في المحافظة على تراثـــه . فجده الاعلى عرفت من هو ، وجده الاقرب عرف بالقاضي العادل الذي ترفع عن الطائفية يوم كانت تسوق الناس بعصاها . شعاره هذا الحديث الشريف : الناس سواسية كأسنان المشط . فكان اذا جلس للقضاء ذكر عصره بالسلف الصالح .

اما والده فكان ذلك الرجل السمح ، الذي لا يزهى ولا يتكبر

لسمو منصبه . لم يرَ في الوظيفة الا وسيلة لخدمة الشعب ، فما رد صاحب حاجة كان عليه ان يقضيها له ، ولا تقاعس عن طالب حق . كان يعنيه ان يؤدب اولاده الكثر فيحسن تأديبهم . لم يكن الرجل خفيف الظهر ، ومع ذلك قام باعباء الابوة المثلى حق قيام ، وحسبك منه انه ثقف ابنـــه البكر في ارقى الجامعات الاوروبية ، وعلم الآخرين في ارقى المدارس ، ولم يقصر في تعليم بناته احسن تعليم ، وهو في كل ذلك يعمل بقول صاحب المزامير : اتكل على الرب فهو يعولك .

في ظل هذا البيت العتيق نشأ رئيسنا الجليل ، فلا عجب ان كان ايمانه كبيراً ، ورجاؤه وطيداً ، ومحبته واسعة عميقة تسع لبنان وما فيه من طوائف ونعرات . واني لأعجب كيف اتسع قلب هذا الديّن الممارس لجميع الملـل والنحل ، وكيف ضاق بهم صدر من ليس له من الدين والطائفة الا اسمها .

اما الايمان فنوره المخترق يطير شعاعاً من جميع خطب الرئيس العظيم ، ولا اذكر لك برهاناً على هذا الا فقرة من كلمة القاهـا في مطرانية الروم الارثوذكس بمناسبة « الفصح الفائت » قال :

« وانا اذا ما افتخرت بشيء فبحبي لهم — اي اللبنـانيين — افراداً وجماعات ، واحترامي الخالص لعقائدهم وعاداتهم ، فقد ادركت بحوله تعالى عهدين . استخلصت من الماضي امثولة وعبرة للحاضر ، وتوجيهاً للمستقبل المؤمّل . واذا شاؤوا ان يعرفوا ما هو المعين الذي كنت ولا ازال استقي منه اداة الحكم فيهم ، فلا اكتمهم ما اوصيت به نفسي ، وما اوصيهم بـه في ختام هذه الاعيـــاد الشريفة :

خشيت الله في ايام الرخاء .

وفزعت اليه في الليالي الكوالح .

واجتهدت ان اكون انساناً قبل ان اكون رئيساً . »

قلت : عاش الرئيس الانسان ، ومن تراه اجدر بهذه الصفة العظمى من وال عادل غفور !

قال دزرائيلي : اني لا افكر ابداً بالانتقام ، ولكن عندما يؤلمني شخص اكتب اسمه على رقعة ثم احتجزها في درج من ادراج مكتبي ، وانه لعجيب ان ارى باية سرعة تسقط هذه الاسماء التي اقيدها هكذا في زوايا النسيان [١] .

اما رئيسنا فادراجه ذاكرته العجيبة ، فهو لا ينسى ابداً ، ولكنه يغفر ويصفح ويعفو .

يغفر لانه اجتهد ان يكون انساناً قبل ان يكون رئيساً ، وهكذا يعفو « الانسان » عند اقتدار « الرئيس » الذي يصح فيه قول شاعر بني امية : واعظم الناس احلاماً اذا قدروا .

وهل تعفو غير المحبة ، والرئيس قال ، كما سبق : وانا اذا ما افتخرت بشيء فبحبي لهم افراداً وجماعات .

واذا شئت ان تعرف مكانة المحبة في نفس الرئيس الانسان فاقرأ خطبته العالمية التي اعجب بها ممثلو اربع واربعين دولة ، واعلوا قدر رئيس لبنان العبقري ورأوا فيه اديباً وفقيهاً من قادة الفكر العالميين حين قال :

« يقول المثل العربي الحكيم : « الانسان عدو لما جهل » ونستطيع

١ حياة دزرائيلي لاندره موروى ، ترجمة حسن محمود ، ص ٢٠٥ .

شرعاً قلب هذا المدلول فنقول : المعرفة طريق المحبة . »

ثم ختم تلك الخطبة الجامعة باقوال الرسل والانبياء العامر بها قلبه ، فرأت دول الارض جمعاء ان في الشرق رجلاً جمع الى رجل الدولة رجال العلم والثقافة والشرع و « الانسانية » . وفي هذه الاخيرة يرى الرئيس المنارة الساطعة التي ترشد السفينة العالمية الواقفة في مهب العواصف .

واذا قرأت خطبته في وضع الحجر الاساسي لجامعة القديس يوسف الجديدة ، بل حسبك ان تقرأ عنوانها بخط يده الكريمة لتعلم عمق هذه الناحية في الرئيس : « لبنان فعل ايمان ورجاء بالله ومحبة بين ابنائه » هذا هو العنوان .

وايمان الرئيس بالله يحمله على النهوض باعباء المسؤولية الملقاة كلها عليه ، فيقول حين يرد تحية الاب رئيس اليسوعيين بتلك اللباقة والكياسة :

« انا ادرك ان بادرتكم اليوم ، كبنيانكم غداً ، يرتكزان على ايمان مزدوج : الايمان بالله ، والايمان بلبنان .

الايمان بالله : لانه ان لم يبن رب البيت فعبثاً يتعب البناؤون .

الايمان بلبنان : لان ماضيه هو اضمن ضامن لكيانه ومصيره . ان لبنان هو في آن واحد ، فعل ايمان بالله ، وفعل رجاء بجوده اللامتناهي . وعلى الاخص فعل محبة يتجدد كل يوم بين جميع ابنائه ، وعلى اختلاف مذاهبهم . »

ثم ينضح اناء « الراعي الصالح » بالذي فيه فيسمو ويعلو في نصائحه البعيدة المرمى ، العظيمة المغزى ، فارضاً ارادة « لبنانه » بلباقته المشهور بها ، فيقول لليسوعيين مستعملاً طريقة الامر الانكاري ،

ان صح هذا التعبير ، مخـــاطباً اياهم في شخص رئيسهم الكبير ، فيذكرهم بما عليهم ان يعلموا اللبنانيين اولاً :

« فهلاّ علمتموهم ان تاريخهم كان عظيماً وجميلاً بقدر مـا تفاهموا وتحابوا ، وانهم كانوا ، على مدى الازمان ، بناة سعادتهم او شقائهم . وما من شيء يحفظهم ويحميهم الا ارادتهم العيش معاً . »

أرأيت اليد المخملية ، والمبضع المرهف في يد النطاسي اللبق ؟ انه يشق « الدمل المُمِدّ » وكأنه سيف طرفة الذي قال فيه صاحبه : اذا قيل مهلاً قال حاجزه قدِ .

ثم يمنح « الآباء » ثقة مشروطة فيقول خاتماً خطبته هذه : « اننا نحضكم الثقة لانكم اسستم الدار الجديـــدة على غرار القديمة ، على الصخرة اللبنانية . »

يقول لهم ذلك واثقاً ، لانه يعرف ، وهو خريج كليتهم ، ان الآباء اليسوعيين يعتبرون البلاد التي يستظلون سماءها وطنـاً لهم . والدليل على هذا ما خاطبنا به الاب لامنس حين شرع في درس « آثارنا » دراسة عـالم محقق ، فجعل عنوان اول مقال له هكذا : هيّا الى درس تاريخ بلادنا [١] .

حقق الله آمـــال الرئيس ، ومن تراه ابعد منه نظراً ، وادق فكراً !

ومن عناصر شخصية الرئيس « الوفاء والصدق » . وهذا ايضاً ناشىء عن دينه الذي علمه في المهد صبياً : الايمان والرجاء والمحبة . فهو صادق في كل ما يقول لانه مؤمن برسالته ، مؤمن بذاته وهي وقف

١ المشرق ، السنة الاولى ، العدد السادس ، ١٥ آذار ١٨٩٨ ، ص ٢٦١ .

على لبنان الذي حلف له يمين الاخلاص وان كان في غنى عنها .

اجل ان الوفاء من عناصر شخصيته ، فهو وفيّ لربه ، ووفيّ لوطنه ، ووفيّ لاصدقائه ورفاقه الذين وقفوا الى جانبه في نضاله الوطني يشدون ازره ، ويرعون عهده ، ويرون فيه اكفأ الرجال للنهوض باعباء لبنان التي يكاد ينوء بها رؤساء اعظم الدول عدد نفوس ، واتساع رقعة ، واضخم ارقام ميزانية .

اقرأ كلمته في ذكرى سليم تقلا لترى كيف يفي الرئيس العظيم لرجل كان له رفيق جهاد . يقر ويعترف بما له من حسنات جليلة ، وصفات رفيعة ، وثبات عظيم . اسمع كيف يخاطبه ، ثم لا تنسَ ان تقرأ الكلمة كاملة في محلها . قال الرئيس مخاطباً اعز الراحلين :

« قاتلتك الخصومات العنيفة بشتى الانواع فلم تنل منك ، والتفتّ حولك الصداقات النزيهة فكنت لها اميناً وفياً . فلا عجب ان بكينا لفقدك بكاءً مريراً ، واعيانا الكلام يوم اودعوك التراب باللهفة والحسرات والدموع المذرافة ، كما يودع الكنز الدفين في الارض الام ، حتى تدعوك الملائكة في اليوم الاخير . »

أرأيت الايمان والرجاء والمحبة كيف تشع جميعاً من هذه الكلمات ؟

والوفاء ايضاً يقضي على الشيخ ان يودع عصامياً كأيوب ثابت فيقول له بعد الاعتراف جهاراً بحقوق عبقريته ونزاهته وصلابته :

« فيا ايها العزيز المودع ، ويا ايها اللبناني الكبير ، يعز على لبنان ان يشيّعك الى المرقد الاخير . ويعزّ على رئيس لبنان أن يودع فيك لبنانياً انوفاً ، وسياسياً شريفاً ، وفقيداً لا تطوي ذكره اطباق القبر . انك حي خالد في ضمير لبنان . »

ومن خصائص الرئيس الدقة حين يتكلم ، فهو لا يرسل الكلام على عواهنه ، بل يفصّل الثوب على القدّ ، فيصوّر لك الرجل – اذا كان يتكلم عن الرجال – صورة ليست بالمكبرة ولا بالمصغرة . فاذا قرأت خطبه التي قالها في هؤلاء ، رأيت قلماً لا بخيلاً ولا كريماً ، تمثل لك كلماته البليغة ذلك الرجل الذي تحدث عنه فتعرف صفـــاته وشخصيته . انه لا يجعل كلمته عامة تصح ان تقال في كل رجل . فما قيل في ايوب ثابت ، مثلاً ، لا يصح ان يقال منه شيء في باترو طراد ، وهكذا دواليك .

اما سعة الاطلاع فبادية في كل خطبه ، وهذه لا يدركها الا من كان له اطلاعه . فقارىء المتنبي ، مثلاً ، يدرك ما عناه الرئيس حين افتتح خطبته في تأبين الرئيس باترو طراد :

« هذه آخرة كل حي ، وخاتمة كل عناء ، ونهاية كل جهاد ، وهذه ثالثة الحالين ، يختلف معناها عن معنى اليقظة والمنام . فنفس خالدة تصعد الى باريها لتؤدي حساباً الى اعدل من عدل ، وارحم من رحم ، وجسدٌ فانٍ ينزل الثرى ، وذكرى يرددها الاحياء عمن رقدوا على رجاء القيامة الظافرة والبعث اليقين . »

ان سعة اطلاعه بادية في هذه الاسطر القليلة ، بادية في اقوال الشعراء الصريحة والمرموز اليها كقول المتنبي :

فان لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

أرأيت كيف هاجم ابا الطيب ؟ ثم ينتقل الى اقوال الرسل ملمحاً اليها تارة في الفكرة ، وطوراً في اللفظة ، كقوله : القيامة الظافرة و « البعث » « اليقين » .

انك لا تجـد خطبة من خطبه خالية من الروح الدينية ، وهذا

مستمد من ممارسته دينه وسماعه ومطالعته الدائمة الكتب السماوية من توراة وانجيل وقرآن . اما التصوير الصادق فتجده في كل عبارة ، واكاد اقول في كل كلمة .

قال لي صديق اديب شاعر انه رأى فخامته يبكّر كل يوم الى الصلاة في معبد صغير برأس بيروت ، فكان أن تذكر قول البحتري في « متوكله » :

فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر

فقلت له : هذا لا يصح بمولانا الرئيس لانه لا يعمل بقول الشاعر : غب وزُر غبّاً ... ليشتاق اليه منبر اشتاق الى الذي كان يزوره في السنة مرة ...

والشيخ وان كان من دهاة ساسة العصر فليس كأكثر الساسة الذين اذا سقط عدوهم شمتوا به . انه رقيق القلب ، عطوف ، صبور ، حازم ، ثابت ، طويل الروح ، هادىء البال ، « يا بحر ما يهزّك ريح » ، متأنٍّ ، بل مسوّف ينتظر هبوب الرياح المواتية . يدبر الامور بحكمة وحزم غريبين ، وخصوصاً حين يعنيه ان يقرب بين النظريات المختلفة . يرحم خصمه ويتناسى جميع الاساءات ، ملبياً صوت « الانسان » الذي اجتهد ان يكونه قبل ان يكون رئيساً .

فحين رزح صديقنا خليل كسيب في بيته تحت اثقال القلة التي بركت عليه ، واعياه الداء الذي ناء عليه بكلكله ، لم ينس الرئيس « الانسان » ان هناك انساناً يجب ان يغاث . فكانت منه لفتة كريمة انعشت قلب الصديق الكريم ، وجبرت خاطره المكسور يوم اصبح نسياً منسياً ممن وقف قلمه على نصرتهم وتأييدهم . وكذلك

فعل مع الصديق الآخر الياس ابو شبكة .

فلئن كان لرئيسنا دهاء معاوية ففي صدره حلمه وعفوه .

ومن خواص الرئيس تلك الذاكرة العجيبة والحافظة النادرة ، فهما اللتان تسعفانه في ادارة كل شيء مباشرة . لقد مكنتاه من الاحاطة بالصغيرة والكبيرة ، فليس الشيخ كنجوم ابي تمام التي يقضون بالامر عنها وهي غافلة ... ذكاء كلي الصفاء ، وصبر يحقق قول الشاعر : صبرت على شيء امر من الصبر . فليس في لبنان من هو في كفاءته واقتداره .

لقد اثبتت المعضلات الجلى انه الرجل اللبناني المفرد ، ان لم نقل رجل الشرق في الزمن الحاضر .

انه ككل لبناني ينشد الاستقلال . جاهد في سبيل خدمة بلاده فادرك الرئاسة بعد نضال عشر سنوات . انها لم تأت متأخرة . فالشيخ قوي منيع ، ولكنّ لفريق منا رأياً في الاستقلال ينطبق على ما قاله سدني سميث بمناسبة اصلاح نظام الانتخاب :

« تعتقد جميع الفتيات انه بمجرد صدور هذا القانون سيجدن ازواجاً ، ويعتقد طلاب المدارس ان الافعال اللاتينية ستلغى ، وتصير اسعار الفطائر رخيصة ، ويثق جاويش الجيش والاونباشي ان الاجور ستدفع لهم مضاعفة ، وينتظر صغار الشعراء ان اشعارهم ستقرأ ... »

وكأني بفخامة الرئيس حين كتب رسالته الى الشعب اللبناني (٢١ ايلول سنة ١٩٤٩) باسلوبه الشائق الخلاب ، لم يوجهها الى الراضين عن عمله بل الى المتعنتين ذوي عيون السخط . انها رسالة ككل خطب الشيخ ، تنفذ الى القلوب لانها صادرة عن قلب مخلص .

يذكر فيها الناعين بما فعل ، ولكن « رضا المتخلق صعب » كما يقول مثلنا ، لا يرضيه كلام ، ولو كان سحراً بيانياً .

يعرف الشيخ ان يختار لكل كلام اسلوباً ، وهذه خاصة الاديب الكبرى . رأى انه لا بد من التذكير لعله ينفع فقال للناس في رسالته هذه :

« هل نسيتم اول وقفة لنا في المجلس النيابي نعلن فيها القضاء المبرم على حياة العزلة والانعزال ، وننادي بالتعاون الوثيق مع اخواننا وجيراننا ابناء الدول العربية ، مع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا كاملين غير منقوصين ، فكان بذلك الميثاق الجديد .

« هل نسيتم تلك الرياح المواتية التي ارسلها ربكم بشراً وعدلاً وحقاً بين يدي رحمته ، فكانت تلك العاصفة الهوجاء يوم الاعتقال ، وكانت ذلك النسيم البليل العليل يوم الاستقلال ، وبين هذين اليومين ثورتكم وضحاياكم والدم المهراق الذي سقى الارض وزرعها زرعاً مقدساً كريماً . »

وهل نسيتم ، وهل نسيتم الخ ، الى ان انتقل الى ما بقي عليه ان يعمله . ولكن عين السخط نسيت كل شيء الا المساويا .

سوف تقرأ هذه الرسالة الابوية كاملة في مكانها من هذا الكتاب . لقد عدد الرئيس ما انشىء وما احدث في « عهده » من عمران ورقي ، ومتممات الاستقلال ، ولكن بعضنا يطلبون ان يقال للبنان كن فيكون .

ليت هذا البعض يقرأ تاريخ نابليون ليعلم ان لكل انتقال حسناته وسيئاته ، وهل يستطيع بشاره خليل الخوري اكثر مما استطاع نابليون مفخرة امته والعالم ؟

وهنا لا بد من ذكر كلمة قالها وزير بريطانيا المستر بوزويل في حفلة بكفرشيما . راز سعادته المسؤولية التي ينهض باعبائها شيخ لبنان فقال :

« انتم في لبنان ملل وطوائف عـــدة ، تنابذتم في الماضي ، ولكنكم اليوم اصبحتم تعيشون بوحدة ومحبة واتفاق ، وما ذلك الا بفضل حكمة رئيسكم وسياسته الرشيدة ، فقد عمل فخامته ، ويعمل دوماً ، لا لتكون كل طائفة منكم شعباً ، بل لتكونوا جميعكم شعباً لبنانياً واحداً .

« وكما ان مليكنا هو رمز الدولة عندنا ، ففخامة رئيسكم هو رمز لبنان ، والرئيس يمثلكم اصدق وأجلّ تمثيل بما يتحلى به من صفات سامية ومبادىء عالية . وهـــذه المبادىء فائزة لا محالة وان اصطدمت بمصاعب كثيرة . ان مليكنا وحكومته يواجهان مصاعب ايضاً ، وهذا شأنكم هنا ، ولكن لا بـد من ان يكتب الفوز للمبادىء السامية التي تمتاز بها روح الحكم[١] . »

والشيخ تجتمع في شخصيته ابرز صفات رجـــل الدولة ، فهو كما قال المتنبي في سيف الدولة :

ذكي تظنّيه طليعـة عينه يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

وهو لبناني استقلالي ، يمده تضلعه من الحقوق والشرع والتـاريخ والفلسفة بمـا يمكنه من تفهم الاستقلال على حبّه . وفي هذه الخطب التي ندرس نرى الخطوط الرئيسية للاستقلال ماثلة امام اعيننا . انه يضرب في كل علم بسهم ، وهذا ما ساعده على توطيد اساس

١ جريدة الحياة ، العدد ٩١٨ ، في ١٠ أيار ١٩٤٩ .

دولة حديثة العهد بالاستقلال ، وادارة نفسها بنفسها . فقد سخر له من العلم والمعرفة ما لم يسخر لغيره من رجالات المشرق . فعل اقصى ما يمكنه فعله لتوطيد استقلال بلاده ، فنظره البعيد يضع الاشياء مواضعها ، باناة وصبر وصمت . وهو يستفيد من كل ظرف ، ويتحين الدقيقة التي يستطيع ان يؤدي بها رسالة العهد .

ومن خواصه الايجاز ، خطيباً ، وكاتباً ، ومحدثاً ، فيكاد يكون كلامه ، وخصوصاً نكته الطريفة — وهو قلما يجود بها — من جوامع الكلم .

عقل سياسي يستمد من التاريخ العبر ليكتب تاريخاً لبنانياً حديثاً . هو يعلم عن ظهر قلبه ما قاله ابن دريد في مقصورته :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

بصيرة نفاذة ثاقبة تبلغ اعماق الشخصية وتدرك اسرارها . واذا قلنا انه رجل سياسي ندر وجوده في الشرق ، لا هو لين فيعصر ولا هو صلب فيكسر ، يصبر حتى يفرغ صدر الصبر ، فلسنا نعدو الحق .

لبناني قلباً ودماً ، عربي يداً وجناناً ولساناً وبياناً . فكل الخطوط اللبنانية مجتمعة في هذا الرجل ، فهو عمراني اتحادي كفخر الدين ، حازم كالبشير وان لم يكن له حبه للعقاب .

تقي يخاف الله كالبطاركة والصحابة القدامى ، وهذا التدين لا يحول بينه وبين مصطلحات التمدن الحديث ، وما هم عليه رجال زمانه من تعامل وتعاشر ، فهو يصلي خاشعاً في الهيكل ، ويطرب ويمرح بمقدار مماشاة الزمن . مشترع كفقهاء بيروت على عهد رومة . اديب كاتب سامي التفكير ، استيقظت فيه ملكة الخطابة والكتابة باكراً .

مثقف من الطراز العالمي الاول ، وقد صدق الاديب القصصي العالمي بيار بنوى حين دعاه : حامي الثقافة ، ومن احرى بهذا اللقب من رئيسنا الكلي الثقافة !

ان من تمعن وتأمل يجد لبنان كله مجتمعاً في هذا الرجل ، فهو مثال اللبناني الاصيل ، طيبة قلب ، وحلم ووداعة ، وذكاء ومحبة ، فهو بيروتي لبناني ، مدني جبلي . واذا قلت لك انه اعرف الناس بتاريخ هذا الجبل فلا ابالغ ولا اغالي . فقد ولد في حضن تاريخ لبنان ، وتعلمه بالقدوة والمطالعة ، فلا عجب اذن ، ان لمح في رسالة « قاعة العمود » الى لبنان الذي انشأه جهاده .

واذا تناسينا « قنبلة الحديقة » التي القيت على بيته ليلاً حين كان يرأس لجنة النضال المعارضة فكيف ننسى يوم راشيا الوادي ؟

اننا نظلمه اذ نشبهه بالامير بشير . فهو لا نظير له في تكوين الوحدة اللبنانية غير الامير العظيم فخر الدين ، هذاك الامير الذي كون وطناً لبنانياً من جميع ابناء لبنان على اختلاف الملل والنحل ، فانشأ دولة حديثة لا طائفة . ولعله اول امير في العالم اهتم بتوجيه عناية خاصة الى تنشيط جميع مقومات الدولة الحديثة ، فان كنت لا تصدقني فاقرأ كتاب فخر الدين للخوري بولس قرألي[1] ثم عد الى نفسك وقابل واحكم .

قلت هذا لان وجهة نظر الشيخ كانت دائماً استقلال لبنان ، ولا بد هنا ، لتأييد ما نقول ، من ايراد كلمة قالها فخامته عام ١٩٣٩ في الندوة النيابية بتاريخ ١٨ نيسان :

١ فخر الدين المعني الثاني ، ج ٢ ، ص ٩٦ - ١١٦ .

« فالحريات العامة كنز لا يعرف قيمته الا الفاقدون له ، واذا كانت لنا كلمة نقولها للبنانيين في مثل هذه الايام فهي ان يحتفظوا برصانتهم المعروفة ، وبرباطة جأشهم ، وتعلقهم بنزعاتهم التاريخية نحو الحرية ، وشجبهم لكل استبداد واستعباد ، لانه اذا عبث ، لا سمح الله ، بتلك الحرية ، فاللبناني ، في مدنه وجباله ، سيأسف عليها اسفاً مريراً ، ويرجع للنضال في سبيل الحصول عليها تكراراً ، وقد يكون إلات ساعة مندم . »

لقد صحت نبوءة الشيخ وفقدت الحرية ، اما لات ساعة مندم فلم تكن لانه كان واقفاً بالمرصاد ... فقدناها لتعود الينا خيراً مما كانت عليه وان كان هو الذي دفع عنا الثمن غالياً بما قاساه من تشريد وابعاد واضطهاد ، وهل يكون الرجل عظيماً اذا لم يذق الامرّين ؟

لئن « نسي » البعض ، فجلّ اللبنانيين لا ينسون يوماً عاد فيه من الاسر ، واشتعلت البلاد اشتعالاً ، وغصت بيروت يوم عودته بشعب لبنان الذي رأى في شخص الشيخ بشاره الخوري منقذاً ومخلصاً.

وهنا يطيب لي ان انقل عبارة قالها صديقي الدكتور الاديب جورج حنا في كتابه « من الاحتلال الى الاستقلال[1] » :

« ثم خرج فخامته الى الشرفة ، فخطب بالجماهير المحتشدة ، وكانت نبراته تنم عما يكنه فؤاده من الحب والاخلاص للبنان ، والتفاني في سبيل حريته وكرامته . »

ومن مزايا الشيخ انه يعرف كيف يرضي من يخاطبهم او يخطبهم . فهو يعرف ما يرضي النـــاس ويسوؤهم ، في الحكم ، وفي

١ ص٢١٣ .

المقابلات ، وفي الحديث . يعنيه ان يرضي الجميع وينفع الجميع ما استطاع ، ولا يتأخر عن « غض النظر » اذا رأى لذلك سبيلاً ، متقيداً بحكمة ابي الطيب وهو يحفظ كل شعره الحكمي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

قلت انه يعرف ما يرضي البشر ويسوؤهم ، اما انا وانت فقلما نعرف ما يجب او ما لا يجب . وهنا يحق لي ان اذكر بيتاً من الشعر لهوميروس يصح ان يقال فيه :

« هو وحده الحكيم ، اما الآخرون فاشباح زائلة . »

قلت : يعرف ان يرضي ، فعندما زار مدينة جبيل كان النعّاقون ينكرون على الشيخ لبنانيته ، ويغرس بعضهم في اذهان بعض انه سيقضي على استقلال لبنان . فقام يحدثهم بلغة اللبناني العتيق فقال :

« كان علينا ان نزوركم قبل اليوم ، انما لم نشأ ان نزور منطقتكم وندخل مدينتكم الا وقد فتحنا قلوبكم وافتتحنا عقولكم ، وها نحن نأتي رسل سلام ووئام .

لقد جئنا نحمل رسالة العهد الجديد يوم امكن ان تفهموها ، بعد ان فهمتم او افهمتم اننا اردنا ان نجتاح استقلالكم ، وهذا ما لم يخطر لنا ببال . ولكن في مراحل جهادنا الوطني ، وفي كل ما فعلناه ، اردنا ان نجعل من هذا البلد اللبناني العزيز حصناً للمجد والكرامة والوطنية .

نحن من ابناء الضيعة ، درسنا تحت السنديانة و « ربّعنا » جرس الكنيسة و « قمنا القيمة » في ساحتها ، وتعرفنا الى جميع انواع الحياة القروية الوادعة ، وما ثمة شيء لبناني الا مارسناه وعرفناه

واحببناه . »

ان الشيخ يحدث الجبيليين مخلصاً ، وهذا ما ذكرني بما فعله جورج واشنطن حين كان يدعو الناس الى انتخابه . مر على ثلاثين رجلاً من الحصادين وحاول ان يقنعهم لينتخبوه . حدثهم طويلاً وما رأى ان قلبهم معه ، فتناول اخيراً منجل الحصاد واغار بها على الزرع فاجاد الحصاد خيراً منهم ، فادركوا انه يفهم ما يعانون ويكون خير ممثل لهم ، فمنحوه ثقتهم واصواتهم .

كان الجبيليون يحسبون الشيخ عدو استقلالهم الذي لا يرضون عنه بديلاً ، اما بعدما سمعوا منه ما سمعوا فاطمأنت قلوبهم ، ولاسيما حين سمعوا :

« لقد استهدفنا وحدة الوطن واردناها في هذا الوطن وحدة في القلوب والسواعد . واردناه تكاتفاً حقيقياً بين الكنيسة والجامع يشيد عليه ركن الحرية والاستقلال . »

ارأيت ملامح فخر الدين في خطبة جبيل ؟ ان جبيل ، وحدها ، هي مدينة الكنيسة والجامع في لبنان الصغير . انهما متجاوران ، وفي اعصب ايام تاريخ لبنان لم يعكر الماء بين الاحمدي والمسيحي في جبيل .

عندما ينجح عضو البرلمان لا يفكر الا في ان يكون وزيراً ، كذا قال اندره موروى ، اما الشيخ ففكر منذ مارس السياسة كرجل دولة قبل ان يصل الى ما وصل اليه ، وما كان هدفه غير استقلال لبنان .

الملك يملك ولا يحكم ، اما الرئيس عندنا اليوم فيملك ويتعهد شؤون الدولة ، واذا تعقدت المشاكل شخصت الابصار اليه ليكون

الحل المناسب . وهو بصير حكيم يهتم بالتوازن ، كما قال اميل فاغه عن ميرابو . ان هذا التوازن هو عادة الاساس الذي يوطد عليه الحكم ، فلا يطغى فريق على فريق .

يريد صاحب الميزان ان يظل القبّ على العـــاتق فلا ترجح كفة ولا تشيل كفة . يريد ان يفحم معـــارضيه ولكنه لا يسر باضعافهم ولا يحاول ذلك . يفتش دائماً عن الزمام الذي يقي السلطات من انزلاق يجر اليه اطلاق اليد في العمل . يعرف جيداً الحد الذي يجب الا تتجاوزه السلطات الاجرائية ، والخط الذي لا يحق للسلطة الاشتراعية ان تقفزه . هو صنو فخر الدين في مسايرة جميع العناصر وجمعها حواليه ، وهو على ما في يده من صلاحيات واسعة ، وسلطة مطلقة ، لا يفكر باللجوء اليها مهما اشتدت الازم ، لانـــه وديع ومتواضع القلب :

ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك .

الربان الحكيم الشجاع

احسن الناس استعمالاً للآلة هو من
عرف سرها وتركيبها.
احدهم

سياسي منذ نعومة اظفاره . مال الى الادب ناشئاً ولكن حرفة الادب لم تدركه ، وان وطّأت له فصاحته طريق المحل الارفع . قال المثل اللبناني : يا جاري يا ركن داري . وقال ايضاً : الجار قبل الدار .

على هذا بنى صاحب الفخامة سياسته اللبنانية . جعل اكبر همه توحيد القلوب على اختلاف الملل والنحل ، وانطلاق لبنان شرقاً وغرباً . لم يرده منطوياً على ذاته لان ما صح اتباعه في الامس البعيد لا يصح اليوم . فلا مغاور تصلح معاقل لا تؤخذ ، ولا جبال لا تتسلق . فمن يفطر في بيروت ، ويتغدى في مصر ، ويتعشى في باريس ، ثم يمسي في نيويورك لا يعصمه عاصم اليوم ، ولذلك فتح الرئيس باباً صوب الشرق وشباكاً صوب الغرب ، وبيته ظل بيته .

الرئيس مؤمن بالكيان اللبناني كل الايمان ، وهذا الايمان اوحى اليه ما اوحى ، فسددت خطواته جرأة نادرة وحكمة سامية . عمل

مقتدياً او غير مقتدٍ بما عمله فخر الدين في سبيـــل تكوين الوحدة اللبنانية . وزاد على ذلك اتحاد الطوائف في الداخل وتعاضدها جميعاً مع الاقطار العربيـــة الى ابعد مدى ممكن بلوغه ، دون ان يمس الاستقلال الناجز . انشأ علاقات خارجية واسعة النطاق فخيل الينـا ان بلد المليون نفساً دولة ذات خمسين مليوناً .

سمعت فقرة من خطبة جبيل رسم فيها الرئيس خطوط لبنانه الحديث ، وسترى في المختار من خطبه الاولى مثل هذا الكلام ، لان شيخنا العظيم لا يخطب حباً بالكلام الرنان بل ليؤيد فكرة ، او يعزز قضية لا بد من اطلاع الرعية عليها .

قلت مرة في بحث حول التربية الوطنية : « ان لبنان بين رجلين يتنازعانه ، واحد يجذبه شرقـاً ، وآخر يشد بـه صوب الغرب . » والحمد للذي القى مقاليد هذا البلد الى رجله المنتظر ، فقيض للبنان من دله على الطريق الامثل قائـلاً له : انت اخو الشرق وصديق الغرب ، فلنعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ظلمنا حيارى حتى ظهر هذا الربان الحكيم ، فمشت السفينة على رسلها بعد ان كانت تتقلب في مهب العواصف .

كان الجلاء وكان لبنان ، وفعلت حكمة الشيخ مـــا لم تفعله سيوف المردة ، ورماح فخر الدين ، وطبنجات المير بشير .

لم تنقص الشيخ الشجاعة ، وهي اس الفضائل ، فعمل الواجب ولم يخش العواقب . واذا رأيناه متمسكاً بحقوق لا يفرط بها ، فهو الذي اخـذ « مقامه » بحقه ولم يكن هبة ولا اعطية . تجرع امرّ كؤوس المعاكسات ، وذاق طعم « اللبان » ، ورأى رؤوس الحراب كألسنة الافاعي مسددة صوب صدره ، ولكن الشجاع

الحكيم لا يلين :

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلا

اننا ندرس خطباً سياسية فلسنا بخارجين عن موضوعنا اذ عالجنا هذه الناحية من شخصية الرئيس . فاذا قرأ هذه « الصفحات الخالدة » قارىء فلا يعرف ظروفها وملابساتها ، ولا يرى فيها ما نرى الا حين يفهم كل هذا .

تجلت حكمته وشجاعته للناس حين عُرض عليه العود الى كرسيه شرط ان يتخلى عن رئيس حكومته ، فأبى ذلك بترفع ، واجاب بما يشبه قول ميرابو :

نحن هنا مأسورون ، فاما ان نعود احراراً مستقلين ، او نموت فنُعذر .

هنا منتهى الحكمة . لم ينجح مصطفى كامل باشا الزعيم المصري ، لانه بنى رسالته الاستقلالية على عنصر واحد . اما سعد زغلول فبناها على مدماكين : على المسلمين والاقباط ، ففازت على يده مصر بالكثير من امانيها . وشيخنا الحكيم ادرى الناس بالتاريخ واجدرهم بالافادة منه واستخراج العبر ، وخصوصاً تاريخ مصر الشقيقة التي زارها كما زارها بشير قبله ...

ان الرجل السياسي في شخص الشيخ مستيقظ دائماً وابداً . يدعى الى مهرجان الليمون في انطلياس فيدعو التاريخ فيلبيه ، ولكنه يعرف من اين تؤكل الكتف فيقول :

« في هذا المكان ، امام مذبح مار الياس انطلياس اقام اللبنانيون عهداً جمعهم بعد ان كانوا تفرقوا افراداً . وتجددت الاعجوبة ذاتها بعد مرور مئة عام فوثبت امة ووطدت اركان وطن عاش على

مر السنين عزيزاً انوفاً .

حافظوا ايها اللبنانيون على هذا التراث المجيد ، واقيموا على العهد ، واشكروا نعمة الله فيكم اذ ضمكم حزمة واحدة بعد ان كنتم اشتاتاً . وزادكم قوة بين عبر الماضي ، وامماني الحاضر ، وآمال المستقبل . ساعدونا على محو السيء وابراز الحسن الجميل ، وآزرونا على جمع الكلمة وتوحيد القلوب . »

الا يذكرنا هذا الكلام بلهجة الخلفاء الراشدين ، رضي الله عنهم اجمعين ؟

وقد تجلت حكمة سياسته حين ولي الامر فزار اولاً خصومه السياسيين ، فلم يردّها الا بعضهم . لم تقو حكمته على محو الاحقاد والضغائن ، وهو لم يفعل ما فعل الا لان هدفه الاعلى هو جمع القلوب حول لبنان .

وواحدة اخرى بدرت منه دلت على عقلية كلية الفطنة . خاف موالي خصومه وانصارهم على كراسيهم ، حين انتخب بالاجماع رئيساً ، فاذا بشعرة واحدة من رؤوسهم لا تسقط ... قد فعل كزياد وان لم يقل : وقد كانت بيني وبين قوم إحن ، قد جعلتها دبر اذني ، فمن احسن فالى نفسه ، ومن اساء فعليها .

اجل لو كان الشيخ هو غيره لكان نحّى الكثيرين عن ادارة الشؤون ، ولو كان هو غيره لعزل واضطهد وانتقم ، ولكن حكمته الفائقة ، وصدره الرحب ، وثقته من عينه اليقظى ، وذاكرته العجيبة ، واطلاعه على حكمة الشرق والغرب جعلته ينزع من صدره الغل لانه يحفظ اكثر مما نحفظ نحن المختصين من حكمة الشعر العربي ، وان اقلّ من استشهاده بها حين يكتب ويخطب .

انه يعلم ان الحقد لا يليق بالوالي ، انه يحفظ كالماء الجاري ما نسب الى عنترة العبسي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب
ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي قصيرة عنك فالايام تنقلب

اجل انه يعرف ذلك وهو الذي قال في ختام احدى خطبه قبل وبعد ان يرأس علينا :

« وليثق اللبنانيون ان الرئاسات تزول ، والحكومات تزول ، والمجالس تزول ، وما من احد كتب له او كتب لنفسه خلوداً في مركز او مقام ، او سخر له قدر فرتع في دست حكم ودام[١] . »

هو يعلم ان الانتقام لا يليق بالرئيس الاعلى الذي هو ابو الجميع ، فابقى الكثيرين ممن كان لسانهم وقلبهم عليه ، ففسح امامهم المجال فاصلحوا ذاتهم بذاتهم ، وهكذا وفق الى رد الكثيرين الى حظيرته ، وقوم بأناته اعوجاج فريق آخر . والله اعلم بالسرائر ...

ان من يدبر كل شيء بنفسه ، ويسهر على شؤون دولته ، لا يهاب الناس ولا يخشاهم ليأخذهم بالظنة ، كما يفعل الحاكم الغاشم الخائف على نفسه . كل هذا تراه في خطب الرئيس اما تصريحاً او تلميحاً . ولاجل هذه الصفات النبيلة ترى جميع رجالات دولته يتقبلون رئاسته عليهم بغبطة ويعملون بوحيه وارشاده .

قال المتنبي في اخت سيف الدولة خولة :

وهمها بالعلى والمجد ناشئة وهمّ اترابها باللهو واللعب

١ خطبة ١٨ نيسان في ندوة عام ١٩٣٩ ، وخطبة عيد المولد النبوي في ١ كانون الثاني ١٩٥٠ .

فلا نعجب اذا رأينا يقظة الشيخ وسهره حين تحقق له ما كان يحلم به منذ شبابه . فهو ذو طاقة غريبة عجيبة ، متعطش دائماً الى العمل ، لا يكل ولا يمل ، ومهما طغت العقبة وتجبرت يقطعها ولا يتنهد ولا يزفر ، وهنا تظهر قدرته الغريبة ، فهل في السؤدد الاسمى اكسير يجدد طاقة الشباب ؟ لست ادري ، لم اجرب لأعرف .

ومن سياسة مولانا : احسن الى الناس تستعبد قلوبهم : فمن لا يسعه صدر الرئيس اجزم جزماً قاطعاً ان الدنيا لا تطيقه ، وان الارض التي فرقت من حمل الامانة لا تحمله ... فهو متسامح مع المسيئين ، عدو للمرتكبين ، يحب العفو ، كما قلنا ، ما لم يضر بالحق العام ، وهو يزدري المتملقين المداهنين وان اجاب على ابتسام بابتسام ...

ان لبنان ، هذا المليمتر من خريطة دنيا الله الواسعة ، قد عرّفت به سياسة الشيخ بشاره خليل الخوري جميع اقطـــار المسكونة ، ورفرف علمه في عواصم الدنيا الكبرى والصغرى . كنا قبل « عهده » نبذل جهوداً جبارة لندل الناس على مكاننا من ارض الله فلا نوفق ، فاذا بنا في عهده وكل الدنيا تعرفنا . اذا التفتنا الى داخل لبنان رأينا « عهد » الشيخ كسحابة المعري تنتظم البلاد . ففي المواصلات سخّر الجبال وكنّ خرساً ، كما قال جرير لهشام . ان شق ثلاثـة اميال كلفني عمل عشر سنوات ، واحتجاجات تشبه المسبات ... واخيراً ركوب دابة لم يركب الخطيئة عند موته ابشع منها . ومع ذلك ظهرت تلك المستورة على صفحات الجرائد الى جانب رسوم اشهر كواكب هوليوود ... يظهر ان لـلأتان يداً في ابلاغ الرسالات ــ اما اليوم فقلما تخلو قرية من طريق . تزنرت جميع ربى لبنان بزنانير طويلة عريضة ، وتعممت الروابي والقمم ، وضحكت وجوه

الانجاد والاغوار المتجهمة ، واهلت الاودية المفتحة حناجر الصخور على جانبيها بعد ان كان يصح فيها قول تأبط شراً : وواد كجوف العير قفر قطعته ...

يا حسرتا على الذئاب البرية فقد قطع « عهده » لقمتها . ان جبال لبنان التي هاب المتنبي قطعها مع انه قطع صحراء التيه قد اصبح في استطاعة كل انسان ان يزورها ، ويشرب على ذراها كأس مدامة على ذكر الرئيس الحبيب .

والاميّة اي عهد كافحها كعهده ؟ كان فتح مدرسة مجانية قبل عهده كفتح الدردنيل ، اما اليوم فقد عمّت حتى المزارع . وهنـاك الاعانات والمساعدات المبذولة لكل طالب علم تقريباً .

وهذه « المداخل » والشوارع التي نسير فيها الهوينا بعد ان كنا لا نأمن العثار والاصطدام ، ثم الاخذ بالتلابيب احياناً ، الا نراها فاتحة ذراعيها واشدافها لترحب بالعابرين ؟

وانجاد لبنان التاريخية من صانها وجدد شبابهـا مثل عهده ؟ والري واعماله وهي لا تقل عن تلك . وان كان هنالـــك قرى لم تشرب بعد ، فلست انت اكرم من ربك المتعال الذي قال لها كوني فكانت ، ومع ذلك لم يخلقها الا في ستة ايام .

ان فخامة الشيخ في احيائه البلاد وانعاشهـــا يتبع سياسة فخر الدين من حيث لا يدري ، ولهذا قلت اننا نظلمه اذا شبهناه بالامير بشير . ففخر الدين قرّب ، وبشير فرّق ، اما بشاره فوحّد . سلمت يده .

ويا ليت في متناول يدي ارقـــام كيلومترات الطرقات ، وكيلواطات الكهرباء ، وليترات المياه ، وعدد المدارس والمنشآت

الصحية وغيرها ، لأذيعها افحاماً لاصحاب النظارات السوداء ، ولكنهم كما قال الشاعر :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فما تزيل تلك الحزازات الا رجلٌ كرجل مروان ، وشيخنا لا يفعل فعلة ابن عبد الملك لان في صدره حلم جده معاوية ودهاءه . قد اوضحت كل هذا توطئة لفهم رسالة « قاعة العمود » الشهيرة . واخيراً اقول :

ان الحرب بالنظارات هينة ...

الرئيس الأديب

الاديب هو من ألم من كل شي بطرف.

قلنا فيما مضى ان شخصيته عديدة النواحي ، وهـــذه النواحي متشابكة معقدة لا يمكن فصل واحدة عن اختها . وثقافته كما تكون الثقافة الحق ، متعددة النواحي ايضاً ، فهي كفرات الاخطل : يمدّه كل وادٍ مترع لجب ...

يمدها الادب الفرنسي الذي يعرفه كخبير اهله ، فهو يكتب في الفرنسية كأكبر كتّاب القوم ، يفكر مثله ويعبر عـن فكره مثله ، ومن هنا جاءه الخيال الرائع الذي يجمّل ما يخطه قلمه .

ويمدها « علم الحقوق » وعلم الحقوق ليس بالغريب عن الادب . فاذا قرأت كتاب الرئيس : قانون الموجبات والعقود ، المبادىء العامة [1] ، وجدتك، امام مشترع عظيم، قوي الاجتهاد ، تبلغ فطنتـه اقصى اعماق المواد فيستخرج من مادة او مادتين او مواد ، مادة جديـــدة ، كما يفعل الكيماوي حين يركب ويحلل . تقرأ الكتاب فاذا انت تجاه كاتب عربي قدير يلبس الفكرة اطرف الاثواب وامتنها . وهو في هذا الكتاب النفيس كما هو في خطبه ، بعيد عن اسلوب المحامين لا يستعمل ما يستعملون من تعابير ركيكة ،

١ مطبعة المعرض عام ١٩٣٩.

ويدع ما لهم من الفاظ ، اللهم ما لم تنسد عليه ابواب اللغة التي لا تؤدي ما لم يكن حين وضعت . انه العارف بشرائع جميع الامم والشعوب قديمة وحديثة .

ويمد ثقافته اطلاع واسع عميق على التاريخ العام والخاص ، فيأخذ منه العبر ويسترشد بمشكاته في ليالي الاحداث المدلهمة .

ويمده اوسع الاطلاع على الكتب المقدسة ، وهذا ما عده الدكتور طه حسين اساساً لتفهم الادب العربي ودرسه حين قال : وهل هناك سبيل الى ان يدرس الادب العربي دون ان تفهم التوراة والاناجيل ؟ وهل تظن ان بين شيوخ الادب في مصر من قرأ التوراة وقرأ احد الاناجيل [١] ؟

ويمده حفظ غزير المادة لخير المنظوم والمنثور في الادب العربي وغيره من الآداب العالمية ، فهو راوية قلما تجد له نداً في هذا حتى بين اساتذة الادب العربي الكبار .

وتمده معرفة وثيقة العرى بالفلاسفة القدماء وفلاسفة العصر الوسيط والحديث ، وتخزن حافظته الكثير من الكلام المأثور وجوامع الكلم .

وتمده جميع العلوم التي يعرفها المحامي الكبير من اقتصاد سياسي وغيره ، ولهذا قلنا انه يضرب في كل علم بسهم ، وسهماه « المعلّى » و « الرقيب » . وهو مسلح بمواهب الناقد البصير ، فيفاضل بين تعبير وتعبير ، ويعنى بالكلمة والحرف ، وله اذن مرهفة تسدد خطواته القلمية فتبلغ عبارته ما يروم من ايقاع .

١ الادب الجاهلي ، ص ١٢ .

قلت لفخامته مرة : كلمتكم في جورج دياميل طيبة جداً . فامتعض واجاب على الفور : ولكن ترجمتها رديئة ، اقرأ الاصل[١] .

واذا كان الادب كما حدده قدماؤنا هو « الاخذ من كل شيء بطرف » فبشاره الخوري هو الاديب العظيم لانه متمكن امكن في كل علم يتصل بالادب . مطالع مدمن لا يطيب له يوم لا يقرأ فيه الكتب الحديثة ، ومجلات وجرائد ، فيحيط علماً بما حوله . ليس بالاديب المنطوي على ذاته بل الاديب المفتوح البصيرة على جميع منابع الثقافة ، يعب من منابعها كرهبان دير حنة الذين وصف شربهم ابو نواس فقال :

لا يدلفون الى ماء بآنية الا اغترافاً من الغدران بالراح

استيقظت في الرئيس محبة الادب والخطابة ناشئاً ، وقد كان ادبه الخطابي سلاحه في المعتركات السياسية . فبلاغته ذات تأثير شديد ، وتحت عبارته غير المتكلفة روح قوية يستميل بها القارىء او السامع ، وهي مديونة للدين والعلم في وقت معاً . ان كل هذا ينبثق من مطالعة جدية لا تنقطع ولا ينضب معينها .

ان « طاقته » لا تضاهيها طاقة . فنحن يشغلنا عن عملنا الواحد اتفه الشؤون فيضيع يومنا ، اما هو فمتين الاعصاب ، قويها ، يعمل كل شيء ، ولكل شيء ، وفي كل شيء ، وما عليّ لو قلت : انه الركن الوطيد الذي لا يضطرب ، بل يتماسك تحت اضخم مهدة ، ولو كانت قنطاراً .

١ كان الرئيس يعني التعريب الذي ظهر اولاً ، ثم اعيد النظر فيه فاتى موافقاً للاصل الفرنسي.

انها « طاقة » عزيزة الوجود ذات كفاءة لقبول كل شيء ، ولحفظ كل شيء ، ولتناسي كل شيء بقابلية لا تحد وهمة لا توصف ، ولعلها صفات موروثة عمن عملوا في الحقل اللبناني من الاسرة ، وكانوا من حرّاثه من الفجر الى « النجر » .

والرئيس ، دامت له تلك الهمة ، يكتب يومياً . يكتب « فرضاً » وطنياً مقدساً ، مذكرات بلغت صفحاتها المئات ، وقد سألته صفحة منها فبخل وقال : اتركها الآن . ان ساعتها لم تأت بعد ...

الكاتب والخطيب

ان من البيان لسحراً .

فتوة متزنة في السنين ، لا اضطراب ولا رجّات مهما اشتدت الازم . قيمة انشائه مستمدة من تلك البساطة الهادئة الموزرة بالبلاغة ، وصدق صاحبه وايمانه بما يقول ، وحبه لمن يحدثهم ، ورجائه باقناعهم بما يعرض عليهم من شؤون .

بسيط الكلام حين يناقش ، وجيزه في عرض الاعمال والشؤون ، يحسن البدء والختام ، يحمّل الكلمة ما تستطيع ، لا يكلفها فوق طاقتها ، وهذا ما يجعل كلامه في مقام سام من البلاغة .

لكل مقام مقال ، هذا دستور الشيخ الخطيب . اقرأ خطبه لترى كيف يكون الكلام الموزون ، وكيف انه لا يعيد فكرة ، وكيف انه « يريد » ان يقول فيبدع دائماً . فكلامه وليد الارادة لا العادة ، وهذا ما يولد الابداع . انشاؤه فني بكل ما في كلمة الفن من معنى . ان هذه العناصر البسيطة الحساسة هي التي تجسد كلامه وتجري فيه دم الحياة ، ومع ما تختزن ذاكرته من الشعر العربي نراه اكثر اتجاهاً نحو التوراة والانجيل والقرآن . وهذا ناتج عن ممارسته الدينية ، كما قلنا سابقاً ، ولهذا نرى صوراً جديدة في انشائه مستوحاة من هنا وهناك . فاذا سمعته يتكلم حسبته احد

البطاركة القدماء ، او ملك الانكليز ، او احد الخلفاء الصالحين ، فلا بد من ذكر الله في كل مقام .

اما عبارته فلبنانية لا عنجهية فيها ولا تكلف ، وهذا من عمل المحيط الذي عاش فيه ، واثر الذين تلمذ لهم ، والمحاماة التي مارسها وبرّز فيها ، والسياسة التي خاض غمراتها ، لا يلجأ الى العبارات التقليدية اي الرواسم — الكليشهات — بل يلبس فكرته ثوباً يفصله هو لها وعلى قدها . لكل خطاب يا بثين جواب . افكار واضحة تدخل صميم القلب ، تلوذ دائماً بالحقائق ، وتعتمد على الواقع وان لبست ، احياناً ، ثوباً طريفاً من الخيال . مسلح بمنطق فطن لبق لا يضيق ذرعاً بالمعضلات والمشاكل .

تفوق عبارته عبارة كبار خطباء السياسة العالميين ، من حيث صحتها وجمالها الفني ، وان كان قلما يهتم للتعابير البراقة التي تستثير الاكف بقدر ما يعنى بالعبارة التي توجه الى العقل وتفتح القلوب . يعمد الى الحجة والبرهان اكثر مما يلتجىء الى البلاغة والبيان ، فهو ككل محام « حقوقي » منطيقي يخاطب العقل ، ولكنه يخص القلب باوفر نصيب . ومتى عرفت انه افدر واشهر محام في القضايا الجنائية فلا تستغرب ذلك .

كان يتكلم كنائب تحت قبة البرلمان ، ويحتج كرجل دولة . ولما صار وزير عدل عمل في دائرته بصمت ، يعرف الداء ويصف الدواء . ولما آلت اليه دفة الحكم ادارها بحكمة وفطنة فرأى فيه الانتداب رجلا يحاول ان يحكم حقاً .

اكثر الحيوية فيه تنبعث من عينيه وما فوقهما ، فاذا لمع الشرر خلت نفسك امام جبار ، واذا ابتسم امحت كل تلك الخطوط

المخيفة .

ما مر على لبنان عهد كان حاكمه فيه مالكاً من زمام الفصاحة والبيان ما ملك الشيخ ، فلولا انهماكه في المحاماة والسياسة لكان هو شيخ ادباء عصره .

انني لأستطيع ان اقول : انه لم يقم في الشرق ، وفي كل العصور السياسية — اذا استثنينا صدر الاسلام — رئيس دولة او ملك عني بمخاطبة الرعية ، وكان له كلمة بليغة يقولها في جميع الشؤون كبيرها وصغيرها ، مثل الشيخ . فهو كالامام علي ، كرم الله وجهه ، بالمفاضلة الكلامية ومحاولة اقناع الناس باللين لا بالعنف ، وازعم بل اؤكد انه كثير القراءة لكتاب نهج البلاغة .

نعم اننا نجد مثل الرئيس في اميركا مثلاً . فرؤساء الولايات المتحدة خطب كخطب الرئيس نفهم منها روح البلاد وسياستها ، اما في شرقنا فقلما يعني الولاة امر مثل هذا ...

فالشيخ يتحدث الى الشعب ، وكأني به ينتظرها بفارغ الصبر ، فلا يتلكأ ، ولا يعتذر ، ولا يستنكف ، فيحدث الرعية بما يلائمها ويؤثر بها . كلام تمازجه صوفية تكاد لا تُلحظ ، يعرف قائله دائماً ، ويريد ان تعرف الرعية ايضاً ان « فوقه فوق » ، وانه يحسب حساباً لربه ، وانه مسير بارادة الله الربان الاعظم . وهكذا يحسن النظر الى الاعمال ويحسن ابرازها للملأ حائزة كل مقومات الحق والجمال .

خطبه ذات كنه ، قوية الروح ، ناعمة الملمس ، لم تُعَدّ إلا لتُعِدّ السامعين اعداداً نافعاً ، وتعلّم من لا يعلم ، وتذكر من نسي ، وتنكع المماحك عند اذنه .

وبعض هذه الخطب موشى بذكريات وتعابير تجعلك تظن انك

تسمع كاتباً غنياً بالخيال الشعري مثقلاً بالذكريات التي تغذّي وتلذّ (خطبتا بعبدا وزحلة) .

ان مواقفه السابقة في المحاكم الكبرى والمجلس النيابي ورئاسة الوزارة تثبت لنا وجود هذه الصفات البلاغية في فخامة الرئيس . وها هي شؤون الدولة التي يضطلع بها كلها لا تشغله عن التفكير العميق ولا تحرم الادب الخطابي سحر بيانه ، وتعبيره الخاص به وحده .

قد نجد من يخطبون ويؤثرون في النفوس بالعبارات البراقة ، ولكننا لا نجد من يضع جميع حساسية النفس فيما يقول ويكتب ، كما يفعل هو . انك تشعر في قرارة نفسك حين تسمع كلامه او تقرأه بكل ما شعر هو حين كتب او تكلم ، وكل ذلك بوضوح ودقة ، فلا مداورة ولا لعب على حبال السياسة . لا يماري ولا يصانع . يقول ما يعتقد وما يجب ان يقال ، فلا تموج سياسته في بحار التعابير المطاطة ، بل تراها دائماً محصورة ضمن سد منطقي مسلح بالحجج والبراهين والارقام .

في الشيخ بشاره الكاتب والخطيب جميع خواص رجل الدولة التي جعلته معتدلاً في كل شيء ، يقابل ماجريات الامور بصدر رحب ، ولكنه اذا ما حزم امره واصر فلا نكوص ولا رجعة ، مهما طال الامد . همه تطبيق القوانين ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

خُلق رجل دولة ، فهو لا يفكر ولا يتكلم ولا يكتب الا ليعمل ويوجه الى غرض . كاتب لا يكتب ليجيد الاسلوب ويجوّد الكلام بل ليوجه ويرشد . ويخطب ليقود الشعب والجماهير الى ساحة الخير العام لا ليصفق له . وهو قبل وبعد رجل لبناني مناضل

في سبيل عزة بلاده وكرامتها . فخطبه هذه التي نعنى بدرسها ، هي اوضح دروس في الوطنية ، واساس لكيان دولة جديدة تتطلع الى الامم والشعوب ، متلعة عنقها كالجواد الاصيل حين يقبل على ساحة الطراد .

وبعد كل ما قرأت الا يحق لنا ان نمنح رئيسنا ، وان كان المنح من حقه هو ، لقب « ذو الرئاستين » ؟ انه لقب قديم ، ولكن هذا موضعه ، فصاحبه وان كان يشجع ارباب القلم كثيراً فهو يزاحمهم ايضاً .

ان ابتداءاته الطريفة المؤثرة تدلني على انه تعلم اولاً على استاذ كلاسيكي يعرف اصول الانشاء ، ويفهم ان للابتداء الذي سميناه « براعة الاستهلال » وقعاً في النفوس . فاجاد هذا بل اتقنه ، واستطيع القول انه يتعمده . اقرأ خطبه متأملا لتعلم انه لا يسير على طريق معبدة ، وانه لم يفتتح خطبة من خطبه بما تعود الخطباء ان يفتتحوا به خطبهم . اما الختام فلا يهمله لرئيس ، ولكنه لا يستطيع في الغالب ان يتفنن فيه ، لان « عاش لبنان » ، اليوم ، هي كالحمدلة والبسملة ، واما بعد ، والسلام عليكم ، في الامس .

لا تخلو خطب الرئيس من رومنطيقية ولكنها ضيقة الحدود لانه لا يستطيع ذلك وان كان من طبع الاديب فيه ، وهذا ميل قوّاه فيه منهج مدرسته ، لان اللغة الفرنسية التي بنيت اسس دراسته عليها ، لغة ادب ، رومنطيقية كلاسيكية ، قبل كل شي ، ومن عنده فلفل يرشّه على الجبّازى .

ارسقراطي حين يتكلم كرئيس ، وديمقراطي حين يتحدث كأب وراعٍ ، ولا بأس علينا اذا استطردنا هنا وقلنا : ويضرب

بالبروتوكول عرض الحائط اذا اصطدم بما تقضيه عليه المحبة والوفاء ، ويعتصم به حين يكلف ما لا يطيق ، او ما لا يريد ان يفعل... وهو مع كل هذا متحفظ في كل ما يفعل، فكأنه يعرف كلمة غوته في نابليون : فاذا جعلت من تحب عديلاً لك ، لم يكن حبك ما يكفيه ، بل ملكك هو ما يرنو اليه[1] .

لقد اوجد الشيخ في سلسلة تاريخ الادب العربي الحاضر حلقة مفقودة ، حلقة الادب السياسي الخطابي ، ولهذا نحصيه بحق مع الامام علي وابن يوسف ، فاذا حدقت النظر رأيت ملامح علي البليغ الحكيم والحجاج « الهادىء » في خطبه .

قالت مجلة المصور[2] تحت عنوان « الرئيس الشاعر » :

« بدأ فخامة الشيخ بشاره اخيراً دورة جديدة في رئاسة الجمهورية اللبنانية ، ولعل الذين يعرفون ان عدد سكان الدولة الشقيقة لا يتجاوز المليون — اي اقل من نصف عدد سكان القاهرة — يظنون ان منصب رئيس الجمهورية فيها ، منصب شبه فخري لا يرهق صاحبه كثيراً . ولكن الواقع عكس ذلك ، فان فخامة الشيخ بشاره الخوري من اوفر الساسة مسؤولية ونشاطاً . فهو يبدأ اعماله عادة في الساعة السادسة صباحاً ، فيظل يعمل الى ما بعد منتصف الليل احياناً . وقد لا يجد وقتاً للقيلولة او الراحة بعد الغداء ، ذلك لان الحكم في لبنان من ادق الشؤون ، لما لهذه الدولة — على صغر مساحتها — من نشاط تشعب في كافة ارجاء

١ نابليون لاميل لودفيغ ، ترجمة الدسوقي ، ج ٢ ، ص ٩١.

٢ مجلة المصور ، في ٧ اكتوبر ١٩٤٩.

العالم . حتى انك تجد مهاجرين عاملين في اطراف الكرة الارضية ... بل في المناطق الاستوائية بافريقيا واميركا الجنوبية .

وفخامة الشيخ بشاره الخوري من المولعين بالقراءة ، وخاصة كتب الادب العربي والشعر القديم الخ . »

اما « الرئيس الشاعر » فهذا لقب جديد لا اظنه حقيقياً ، ففخامته لم يهم الا في وادي المحاماة والسياسة .

واخيراً اختم دراستي بهذه الكلمة :

يظهر ان للبنان حظاً عظيماً في الرقم ٢ ، فمن فخر الدين الثاني الى بشير شهاب الثاني واخيراً بشاره الخوري الثاني .

وهذا الاقنوم الثالث من هذا الثالوث هو الذي حقق ما صبا اليه الاميران الاولان وذاقا غبّه .

صان الله حياة شيخنا العزيزة وابقاه طويلاً ، فليس هو رجل الساعة كما يقولون ، ولكنه رجل تاريخ ودهر .

خطبه

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده .
زهير

يبرز لنا وجه لبنان من خلال هذه الخطب بروز وجه الحسناء من وراء البرقع الشفاف . حسن يسبي ، وفتون يغري ، ومجد عتيق جديد . فلو قرأت من التاريخ وكتب الادباء عشرات المجلدات لما بدت لك خطوط الوجه اللبناني و « علاماته الفارقة » اكثر مما تبدو في خطب الرئيس .

لقد اكثر بولس الرسول من ذكر اسم يسوع في « رسائله » كما اكثر رئيسنا الجليل من ذكر لبنان في خطبه ورسائله ، حتى حقّ له ان يقول قول رسول الامم مع ابدال الاسم : لا حبس ، ولا اضطهاد ، ولا موت ، يستطيع ان يفصلني عن محبة لبنان .

وكما حق له ان يقول هذا كما قال بولس في « سيده » يحق له ان يقول قوله في نضاله وجهاده : بالجلد افضل منهم ، وبالضرب افضل منهم ، وبالحبس افضل منهم ... ولكن فخامته وان كان له اخلاص بولس فهو لا يقول قوله هذا ، وان ابدى مثل ذلك باسلوبه الخاص في رسالة « قاعة العمود » .

ان اكثر « خطب الرئيس » هي « رسائل » لبنان التي يجب ان تقرأ في كل محفل ، وكل مدرسة ، وكل بيت ، لانهـــا تؤدي رسالة

التحرر في « عهدنا الجديد » . فما اقرب الشبه بينها وبين رسائل بولس ، بل ما اشبه هذا بذاك . كلاهما يؤدي رسالته متقد النفس ، مشتعل القلب غيرة عليها .

ليس للرئيس ان يخاطبنا بما خاطب به بولس اهل كورنتس حين قال لهم : ولكني احسب اني لم انقص شيئاً عن اكابر الرسل .

اجل انه لا يستطيع ان يخاطبنا هكذا لاننا نعرف قدر علمه وفصاحته وجهاده الاكبر في سبيل تكوين بلاده وتحريرها . وهو لا يستطيع ايضاً ان يقول قول ابي بكر : «لقد وليت عليكم ولست بخيركم » لانه خيرنا بلا منازع . قد يكون لاناس منا احدى صفاته الكبرى ، ولكن ما تجمع فيه من صفات كبرى لم يتجمع بعد في شخص آخر .

وها نحن نضع بين يديك ايها القارىء بعض خطبه كاملة ، ومقاطع من خطب اخرى لتحكم انت بنفسك عليها ، وقد رتبناها كما يلي :

الخطب التأسيسية : وفيها يرسم فخامته خطوط « العهد الجديد » .

الخطب الاجتماعية : وفيها ينظر الرئيس الى الوطن الانساني الاكبر الذي تنشده اليوم دول الارض .

الخطب الادبية : وهي التي قالها في مناسبات اقتضتها .

الخطب المختلفة : وهي التي قالها في مواقف اوجبها الوفاء ودعت اليها مقومات الحكم وواجباته ، وهو فيها جميعاً يدور حول محور واحد : لبنان .

عاش لبنان .

عاش الرئيس الامين .

عين كفاع ١٩٥٠/٩/٢٠ مارون عبود

مُنتقيات مِن خُطبه

عهد الرئيس للأمة

هي اولى خطب الرئاسة القاها في مجلس النواب بعد اعلان انتخابه رئيساً. ولعل المستقبل المنتظر قد تجلى امام عيني الرئيس البصير فقال في هذا الخطاب: "ان الواجبات الملقاة على عاتقنا خطيرة ومتعددة ...

عندما رفعتني ثقتكم الغالية الى سدة الرئاسة الاولى شعرت بعظم التبعات التي القيت على عاتقي منذ الآن. وما من شكر اوجهه الى حضراتكم الا يضاعفه حرصي على تحقيق ثقة الشعب اللبناني الذي تمثلون. وانها لثقة سنكون جميعاً جديرين بحملها باذن الله حين نجرد لخدمة لبنان في هذه الساعة الخطيرة قوانا ونشاطنا واخلاصنا جميعاً.

لقد كان لبنان وما يزال نزّاعاً الى الاستقلال حريصاً على الالفة والاتحاد وتحقيق النظام والسلام والتوازن والوئام بين ابنائه وذلك بمساعدة جميع اللبنانيين دون استثناء احد منهم. واننا لن نألو جهداً في البلوغ بوطننا درجة يشعر معها بخطورة الدور الذي يمثله بين الامم وتصبح امانيه كلها حقائق ملموسة. وبديهي اننا لن ننسى اياً كان من صداقاتنا وتقاليدنا ولكننا نعلم ان الصداقة الحقيقية لا تتعارض ابداً وحقنا في الاستقلال ولا تتعارض كذلك مع ارادة شعب فخور بحريته ذي ماض مليء بالحضارة كالشعب اللبناني الذي

لم يكن يوماً من الايام يقيس كرامته وشرفه بمقياس مساحة وطنه الصغير . فأسأل الله عز وجل ان يعيننا على خدمة هذا الوطن اللبناني المستقل المتمتع بسيادته كاملة غير منقوصة مهما تكن التضحية في سبيل هذه الخدمة كبيرة ، هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شيء والذي يجب ان يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً امينا وأخاً صادقاً تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص .

ان الواجبات الملقاة على عاتقنا خطيرة ومتعددة . وتطور الحرب ، هذا التطور الواضح لكل ذي عينين ، يملي علينا خطة سياسية مرسومة بجلاء . ولقد جعلتنا تقلبات هذه الحرب العالمية الشاملة نلمس الدور الخطير الذي لعبته بلادنا الصغيرة ، والاهمية التي كانت لها ولا تزال في اعين الدول العظمى . انّا لمدينون للحلفاء بجميل لا يُنسى ، فهم الذين جنبوا بلادنا ويلات الحرب وحالوا بينها وبين ان تصبح ساحة قتال يسودها الخراب والدمار ، وهم الذين يحاربون في سبيل الحق والعدالة وقوى الروح ، ويقاتلون القوة الغاشمة قتال الجبابرة حتى اصبحوا من النصر على قاب قوسين او ادنى .

سيكون بيننا وبين الحلفاء في الغد كما كان بيننا وبينهم في الامس تعاون يقودنا شيئاً فشيئاً الى الاتصال بجميع الهيئات السياسية في العالم ، اذ ليس من عزلة ممكنة بعد اليوم لدولة من دول الارض صغيرة كانت ام كبيرة ، فعلى كل امة حريصة على المحافظة على كيانها ان تخرج من عزلتها وتفهم حقائق الامور فهماً انسانياً شاملاً . واننا سنبذل الجهد لفهم هذه الحقائق الحديثة ونحاول ان لا ندع الحوادث تسبقنا بل نسايرها ونماشيها . بين الدول الحليفة

والكبرى نرى فرنسا اليوم ذات الماضي المجيد والدولة التي تربطنا بها صداقة تقليدية معلومة ، فلها كل عاطفتنا وشعورنا الصادق . واني لاتوجه الى الله بتمنيات لبنان ان يأخذ بيدها ليقيلها من عثرتها فتستعيد مجدها العظيم بين دول العالم الظافرة ، ويظل شعاعها غامراً انحاء المعمور بفضل جهود قائدهـا العظيم الجنرال ديغول وكبار معاونيه . واحيي بكل اعجاب صلابة الشعب البريطاني العظيم الذي انقذ العالم حين هددته القوى الغاشمة يوم خيم شبح الانكسار على العالم المتمدن . واحيي رئيسي البلدين الديمقراطيين روزفلت وتشرشل اللذين ابرما ميثاق الاطلنطيق ضمانة لكل شعب يتوق الى حريته واستقلاله .

ان لبنان لفخور بانه كان على كرّ العصور معقلاً من معاقل الحريات الاساسية والثقافة الخالصة . ولكل لبناني ان يعتز اليوم بانه يتم هذه السلسلة المجيدة وبان ابناء لبنان الضاربين في انحاء المعمور يمثلونه خير تمثيل . فالى جميع اللبنانيين الغائبين ، والى مهاجرينا الاعزاء اوجه باسم الامة اللبنانية تحية لبنان وعاطفة تعلقه الدائم الذي لا تنفصم عراه . وقبل ان اختم كلمتي هذه انتهز فرصة حضور فخامة الرئيس بترو طراد هذه الجلسة لاوجه اليه تحية خاصة تنم عن عاطفة صادقة وتقدير كبير . انني بهذه العاطفة اجدد امامكم العهد على خدمة لبنان بتجرد وعدالة .

٢١ ايلول ١٩٤٣

ذكرى الرئاسة والجهاد

وقف الرئيس بمناسبة ذكرى الرئاسة الاولى فالقى هذا الدرس البليغ في الوطنية حاثاً شعبه على الاعتصام بها ، متناسياً جراحه ، معاهداً الامة على توطيد استقلالهـا .

ايها اللبنانيون .

ها قد انقضى عام يحمل للامة اللبنانية ذكريات مجيدة ، عـام سيكون فاتحة عهد مليء بامتع التقاليد . وقد قدر لنا بحمد الله ، بين المصاعب الجمة والمتاعب الوافرة ، ان نؤمن للبنان استقلاله وسيادته وان نوطد فيه الحريات التي لا قيمة بدونها للحياة .

واذا راجعنا حوادث هذا العام المنصرم رأينا ان تعاوننا مع الدول الحليفة والدول المجاورة قد زاد ارتباطاً ووثوقاً مما جعل استقلالنا مؤيداً وموطداً باعتراف تلك الدول به . فاليهـا جميعاً نزف الشكر الجزيل ونخص بالذكر منها الدول العربية المجـاورة التي تضامنت معنا تضامناً اخوياً في الظروف العصيبة ، ونمحضهـا تحية خالصة مقرونة بعاطفة الصداقة العميقة للعمـل المشترك الدائم في بحر هذا العام .

ايها اللبنانيون .

تعلمون ان عملنا لم يكن سهلاً في هذه الفترة ، غير اننا بذلنا وما زلنا نبذل اقاصي الجهد المستطاع لنقوم بواجبنا نحو الوطن اللبناني ، واليوم لا ينكر احد ان اسم لبنان قد ارتفع عالياً في العالم باسره . ففي جميع القارات ورغم ضيق اراضينا نرى اسم لبنان مدعاة للحب والاحترام . والجميع يعلمون كم هي وافرة مصاعبنا ، جبارة جهودنا ، صافية نياتنا ، وكم هي جازمة ارادتنا للعمل في سبيل المثل العليا . فالشهادات التي جاءتنا تترى من جميع النواحي شجعت قلوبنا لانها توالت علينا من بحر الى بحر ومن قطب الى قطب .

فبهذا افتخارنا وبهذا حق لنا ان نفتخر ، لاسيما واننا اثناء المحنة والنكبة كان ضميرنا مرتاحاً كل الراحة لاننا لم نقم بسوى الواجب المفروض علينا دون ان نترك ما اورثنا اياه الاجداد من عزم ومضاء في سبيل خدمة القضية اللبنانية المقدسة على مدى الاجيال .

والواجب الآخر المفروض علينا هو واجب الوطنية الذي يترتب على كل فرد أن يقوم به . لا يمكن ان يوطد اركان الوطن الا مواطنون مخلصون متفانون في سبيل الخدمة العامة ، ولنحفظ لذلك امثولات التاريخ ولنضع نصب اعيننا مثل الامم العريقة في المدنية والرقي .

فاذا لم نتحل بصفات المحافظة على الواجبات الوطنية ، والاخلاص ، والجرأة ، لم نستطع ان نشيد بناء دائماً متين الاركان .

ايها اللبنانيون والوطنيون .

ان مستقبلنا هو بين ايدينا . سيكون عهد ما بعد الحرب

اصعب من عهد الحرب في كثير من النواحي . ولكننا باذن الله سنعمل جميعاً مجاهدين في سبيل لبنان كل ما يستطيع وطني ان يعمله لوطنه ، وكل ما ينتظره لبنان من ابنائه .

ايها اللبنانيون المقيمون ، ايها اللبنانيون المهاجرون .

لنسمُ بقلوبنا في هذه الايام التاريخية ولنرتفع بعاطفتنا وافكارنا دائماً وابداً نحو الاخاء الذي يجب ان يوحدنا ، والواجبات التي يجب ان نقوم بها ، وليكن رائدنا تلك الرسالة النبيلة التي اختص بها بلدنا منذ اقدم العصور ، ولتكن القاعدة التي نتمشى عليها التساهل السمح السامي الذي يجب ان يبادلنا اياه اخواننا وجيراننا واصدقاؤنا جميعاً .

ليكن لنا هدف واحد ومطمع واحد ومهمة واحدة هي ان نخدم لبنان دائماً وبكل الوسائل ، لبنان موطد الحدود مستقلاً سيداً ، لبنان الخالد على الدهر .

٢٠ ايلول ١٩٤٤

لبنان ومصر

اوفد جلالة الملك فاروق بعثة يرأسها كبير ياوراته حاملاً رسالته التي هنأ بها اللبناني الاول واركان الحكومة بعد عودتهم من المعتقل .

فاليك بعض ما قاله صاحب الفخامة عندما استقبل تلك البعثة الملكية :

ان ذكرى مصر العزيزة بمليكها المفدى وارث امجاد البيت العلوي الكبير وشعبها المحبوب وحكومتها السائرة في مناهج الرقي والفلاح في ظل المليك ، تحرك عاطفة كل لبناني يستحق ان يدعى لبنانياً .

فالتاريخ الماضي جعل بين البلدين روابط لا يمحى لها اثر ولا تزول لها معالم . والتاريخ الحديث وثق تلك الروابط بوثاق لا انقطاع له . الم يمتزج دم الشعبين المصري واللبناني في حملة ابرهيم ؟ ولو ملكت النطق حجارة قصر بيت الدين لرددت صدى الماضي القريب من احاديث الامير الشهابي الكبير والقائد المصري الشهير ، ولتراجع الينا صهيل الخيول تعلك اللجم وصليل السيوف واهازيج الطرب ومياه الصفا تجري سلسبيلاً .

ويا حبذا لو اتيح لي بصفتي ممثلاً للشعب اللبناني ان استقبل الفاروق في القصر التاريخي الذي حلت به ركاب احد اجداده ضيفاً

كريماً وصديقاً عظيماً فيحيي الماضي وينعش الحاضر وتنفتح للمستقبل انوار باهرة .

ألم تكتحل عيون آبائكم وآبائنا برمال الصحراء يوم شقت ترعة سماعيل فاكملت عمل الطبيعة وجمعت بين بحرين بل ضمت عالمين وفتحت للكون طريقاً جديدة يجني التمدن ثمارها حتى اليوم والى الغد البعيد ؟

اولم تستظلوا انتم الارز هادئين ؟ اولم نرشف مـــاء النيل آمنين ؟ فاختلط نثركم بنثرنا وشعركم بشعرنا وصحافتكم بصحافتنا حتى كدنا لا نفرق بين ما كتبتم وما كتبنا في حب البلدين والتغني بجمال ومحاسن البرين .

اولم تنزلوا على الرحب والسعة اخواننا اللبنانيين فوجدوا في مصر وطناً ثانياً في ظل عرش مليكها الامين ؟

ان التاريخ الحاضر الذي تخطه يد الملك فاروق باحرف مـــن ذهب قد جنى لبنان منه اطايب الثمار في بدء عهد نبني بـه على قلة عددنا وضيق اراضينا بنياناً للاستقلال متيناً . فشكرنا الله عـــلى المكروه ولمسنا عطف مليك مصر ، ذلك العطف الذي شاركته به سائر الاقطار العربية الشقيقة العزيزة يوم نفـــذ ذلك العطف رقياً كريماً الى المعتقل رغم الحصون والجدران والخفراء الساهرين . فكأني بهذا المليك الجليل يحطم بيديه الفتيتين القويتين قيود المراسيم الرسمية المرعية فيجعل من قضية لبنان قضية مصر الى ان اصبحت قضية عالمية استوقفت فترة حوادث الدهر فتهادن المحاربون كأنهم ينظرون لا الى مصير لبنان فحسب بل الى مصير مبادىء الحرية والاستقلال .

٧ كانون الاول ١٩٤٣

خطبة الفيحاء

لفظها فخامته حين زار الشمال ، واصدق كلمة تقال فيها هي انها دستور لبنان وتاريخه . واذا سميناها « البتراء » فلاننا حذفنا جزءاً منها لا يمت الى ما يعنينا من خطب الرئيس بصلة .

اما بعد فانتم تنتظرون اكثر من هذه العبارات المألوفة في امثال هذه المناسبات . تطلبون مني ومن حكومتي ان نبين اهدافنا واهدافنا صريحة . ولكي تكونوا على بينة من الامر فنحن على مفترق طريقين يجب ان نختار احدهما بملء ارادتنا ، فاذا نجحنا فالفضل لنا ، واذا اخفقنا فالمغبة علينا .

منذ عامين رفعنا هذا الشعب بدافع حزبي او شخصي او بنزعة استقلالية الى الارائك النيابية ، فنحن على هذه الارائك وليدو الحزبية او الاعتبارات الشخصية او النزعات الاستقلالية ، كما اننا وليدو الطائفية لان الدستور نص عليها لتآلف الطوائف في حب الجمهورية . وكانت نتيجة كل ذلك ان انتخب المجلس على اساس استقلالي صريح ، ومنذ الانتخاب سرنا بسياسة استقلالية صريحة . وقد عدلنا الدستور بملء ارادتنا وارادة هذا المجلس في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ، واذا لم يكن له من فضل غير ذلك فان هذا وحده يكفي لتخليد اسمه على مدى الاجيال . وبعد هذا كان ما

تعرفونه من وعد وتهديد ووعيد واعتقال لا اريد ان اردد ذكرها ، وعند ذلك انقسمت الفئة الاستقلالية الى ثلاث : الاولى في راشيا مغلولة السعي مكتوفة الايدي ، ولئن كانت قد اوقفت في اجسادها فان روحها ظلت ترفرف على كل بلد خصوصاً في مراكز المحافظات لاننا كنا نشعر برغم اعتقالنا اننا لا نزال السلطة الشرعية الوحيدة التي تدين بها البلاد . وفئة اخرى في بشامون الفت حكومة شرعية تقوم وفق التعليمات مقام حكومة شرعية رهن الاعتقال . وثالثة في العاصمة لم تمض عدة ايام حتى رفعت العلم الجديد على البرلمان والسراي وفي عموم انحاء الجمهورية ، وكان في ذلك اثر بارز لجهود الامة في المخلصين من ابنائها . ولا اريد ان اسمي احداً من الاحياء، ولن اذكر الا من افقدتنا اياهم الايام على حين غرة كالمرحوم المبكي عليه سليم بك تقلا رفيقنا في الاعتقال والحكم والجهاد ، وما ذكرت هذا الفقيد الا لأنوه باخلاقه الطيبة وعلمه وصدقه واخلاصه وتفانيه ، ونحن لا نزال نبكيه الى اليوم .

وما مرت ليالٍ معدودات حتى انقشعت الغيمة وعاد الحق الى نصابه والحكم الى محرابه .

ورجعت الحكومة الشرعية واستولت على الحكم مرة اخرى . وفي الواقع انها عادت تواصل الحكم بدون انقطاع ، وكانت المحنة الدستورية الموقتة بعثاً جديداً للحرية والاستقلال والديموقراطية .

وعند ذلك انقسمت سياسة الحكومات المتتالية الى شقين : الاول خارجي ، والثاني داخلي وهو العسير . اما الخارجي فلقد راح يستهدف الاستحصال على الاستقلال واستكمال الاستقلال ، فكانت المخابرات السياسية والدبلوماسية الرامية الى تدعيم مركز لبنان

في مصاف الدول الكبيرة . وقد كان لنا ما نريد وبلغنا المنى ودخل لبنان فعلاً في جامعة الدول المتحدة بعد ان كان قد دخل مستقلاً في جامعة الدول العربية . ولما سرنا على هذه السياسة الاستقلالية الجريئة ودفعنا عن انفسنا تهمة العزلة والانعزال وتلفتنا الى العرب الذين تجمعنا واياهم رابطة اللغة والعادات والاخلاق الشرقية والمصلحة والاماني لم يعد في لبنان لا سلبيون ولا ايجابيون ، لا مسلمون ولا نصارى ، بل اصبح اللبنانيون شخصاً واحداً لبنانياً قومياً استقلالياً عربياً بكامله ، واكبر شاهد على ذلك ما رأينا في هذه البلدة التي لم تكن تهتف وتصفق لرئيس غير هذا الرئيس الذي ترى فيه رمزاً لجمهورية لبنانية استقلالية عربية ديموقراطية .

وسرنا على هذه الخطة تجاه الغرب والشرق ، فمع الغرب اردنا استقلالاً صحيحاً لا معاهدة ولا ارتباطاً ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً بل نريد صداقة الجميع ومعاهدة مع الجميع على اساس الند للند لان الدول لا تقاس بمساحاتها وعدد سكانها بل بمقدار رقيها ومدنيتها ، واقر ان لبنان راقٍ ومتمدن كأعظم الدول الكبيرة .

وسرنا على هذه الخطة لا عن خوف ولا عن وجل ولا عن حقد او ضغن — لقد نسينا الماضي — بل لاننا اعتقدناها الخطة المثلى للسير ببلادنا على طريق سويّ تجاه الدول الغربية والشرقية . وكما اردنا الاستقلال تجاه الغرب ، فقد اردناه كذلك تجاه الدول العربية الشقيقة فقلنا لها بصراحة وايمان : نريد استقلالاً كاملاً ناجزاً . وقد قدروا هذا الموقف لانهم احرار يقدرون الحرية ، وهكذا مددنا لهم يداً نزيهة شريفة ، تلك اليد التي غلت عن ان تمد لهم طول ربع قرن ، فكان لنا ولهم بفضل هذه السياسة ما اردنا وارادوا لنتعاون ونجعل

من الشرق بقعة للطمأنينة والنظام والمثل العليا وتسيير دفته نحو السلام .

والشواهد على ذلك متوافرة، فمن بروتوكول الاسكندرية الى ميثاق الجامعة العربية ، الى ميثاق الامم المتحدة ، وجميع الذين تعاقبوا على رئاسة لوزارة ذوو فضل في تأسيس وبناء هذا العهد الذي اصبح فيه لبنان حراً متضامناً مع اخوانه وجيرانه ، ولقد بلغنا الشاطىء الامين ولم يبق الا بعض امور تسعى حكومتنا الحاضرة لاستكمالها بجرأة .

ان الحكومات الاربع التي تعاقبت على الحكم قد ساهمت في تأسيس هذا العهد في لبنان ، واطلب من الله ان يتعاقب رؤساء الوزارة السنيون على الحكم ولا ينفرد الواحد عن الآخر الا ليبرز في ميدان الكرامة والاستقلال .

كان معظم المسلمين يخشون التعاون مع الحكومات اللبنانية في عهد الانتداب ، اما في هذا العهد الاستقلالي فقد حدث ما يمكن ان ينعت باعجوبة فيه وليست وحيدة من نوعها، اذ اصبح الرئيس المسيحي اكثر اسلامية من رئيس وزارته السني ، واصبح رئيس الوزارة السني اكثر مسيحية من الرئيس الماروني .

ان فئة مسيحية تحسب ان هذا التعاون يولد خطراً عليها في المستقبل ، وهي تقسم الى اثنتين : واحدة خائفة عن حسن نية فيجب ان نداويها ، وقد بدأت هذه الفئة تشعر بفوائد العهد الجديد فلها احترامنا ونحن نمد لها يدنا لنتعاون معها على خير الوطن ، وفئة اخرى اريد ان تكون ضئيلة لعب فيها الدس فارادت ان تنفث سمومها . فهذه الفئة يتعذر التفاهم معها الا اذا هداها الله سواء

السبيل .

ترون اذاً ان خطتنا هذه هي المثلى ، وان الخطى التي مشيناها كانت حكيمة سليمة وحدنا فيها جهود الامة وصفوفها فلم يبق فيها ايجابيون وسلبيون ومسلمون ونصارى .

اما في السياسة الداخلية فهنالك امران يعترضان سيرنا : الحزبية الشخصية والطائفية العمياء . فالحزبية ليست وليدة العهد الحاضر فقد عرفها لبنان منذ القديم . عرفها بين قيسيين ويمنيين، بين يزبكيين وجنبلاطيين ، بين دستوريين وغير دستوريين ، وهو اليوم لم يزل يتخبط فيها . انما نحن اذا كنا في المجلس كأحزاب فقد كانت كلمتنا موحدة في القضايا الوطنية ، واذا كنت انا وليد الحزبية في الانتخابات فقد انتخبني المجلس رئيساً للجمهورية باجماع الاصوات ، وهب انه بالاكثرية فان رئيس الجمهورية يترفع عن الحزبية ويكون للجميع على السواء . واطلب منه تعالى ان يغل نفسي وعقلي ويدي عن النعرات والعنعنات الصغيرة لأبقى كذلك، واعاهدكم على السير في هذه السياسة التي ترفع الرئيس عن الحزبية لان الدستور ارتقى به الى مستوى يقيه من المساومة والاستجداء والطلب المذل، واتمنى على الله ان اوفق بما بقي من واجب مهمتي فاذهب بعدها واستريح من عناء اضناني وكاد يودي بحياتي .

اما الطائفية فليست حديثة في لبنان ، فهي فيه منذ قائمقاميتي الدروز والنصارى ومنذ تكوين مجلس الاحكام الاعلى وفي نظام لبنان على عهد المتصرفين مدة ستين سنة ، اذ كانت الوظائف مقسمة على الطوائف وملكاً لها بحيث لا يتمكن الواحد من مزاحمة الآخر واتصلت بدستورنا عن تقليد حكيم . اما اليوم فيوجد بين

الطائفية العمياء والحكمة في الدستور رادع لا يجعل الطائفية تضر بمصلحة الدولة . ونحمد الله على اننـــا اذا كنا سوف لا نتخلص قريباً من هذا القيد ، فالطوائف اصبح في مقدورها ان تقدم موظفين ذوي كفاية ، ولم يعد العلم وقفاً على طائفة دون اخرى ، وسيكون العلم بعد اليوم غير خاضع للطائفية . ونحن فخورون بان تقدم لنا الطوائف المظلومة ابناءها اصحاب الكفايات لنفتح لهم احضاننا ونشركهم في الحكم الذي لم يعـد في لبنان وقفـــاً على طائفة دون اخرى .

اما وقد صارحتكم بهذا وقطعت عـلى نفسي عهد الله فلم يبق لي الا ان اسأله ، جل جلاله ، ان يسهل مهمتي ومهمة حكومتي لتتثبتوا اننا لم نكن قط على خطأ بل اخذنا على عاتقنا ، واستهدفنا ، ستقلال لبنان ونحن في صيانته ماضون .

عاش لبنان مستقلاً حراً ديمقراطياً عربياً ابياً .

طرابلس ٥ تشرين الاول ١٩٤٥

في سبيل الوحدة

هذه فقرات من خطبة مطابقة لمقتضى الحال قالها الرئيس الصريح في سبيل الكيان اللبناني .

لمدة قريبة خلت ، كان بعضهم — وخصوصاً الطوائف المحمدية — يتنكرون للبنان لا تنكراً للاستقلال بل كرهاً بالاجنبي الذي كان يسرج لغاياته سياسة التفريق بين اللبنانيين ، اما وقد تقوض ركن هذه السياسة فقد اصبح اللبنانيون جميعاً ، والحمد لله ، يحبون الاستقلال ، ويقدسون الاستقلال ، ولا يرضون عن السيادة الوطنية بديلاً .

كانت تلك السياسة تعمل بمبدإ « فرق تسد » ، وهي خطة درج عليها المنتدب ، واتخذها مطية للسيطرة عن طريق بعثرة الصفوف ، اما نحن فقد درجنا على نقيضها ورحنا نوطد سيادتنا القومية بجمع الصفوف ولف السواعد ، فالمؤمنون منا بلبنان اصبحوا يدينون به عن عقيدة وايمان ، ولا فرق في ذلك بين الرئيس واعوانه وبين اللبنانيين جميعـــاً الذين سادتهم يقظة شاملة لاتباع هذه السياسة الرشيدة .

حلبـــا ٨ تشرين الاول ١٩٤٥

قضية فلسطين

في اهدن، البلدة الجميلة المشهورة بالبسالة والاباء، ارتفع الصوت اللبناني الاول لاجل قضية فلسطين، وهاك بعض ما قاله في اهدن، ثم بعض ما قاله في صيدا، بعد ان قدم لكلمته بكلمات رائعة عن الاستشهاد، يكفيك منها تأويله الجميل لكلمة « صلاة الغائب » ثم لا تنس « شهوة اشتهيت »، فهي « سيدية » تفوح عطراً مقدساً لانها سبقت مصرع سيد الشهداء بليلة.

اذا رجعتم الى قلوبكم، والى ضمائركم، امكنكم ان تشعروا بمدى الاهتمام الواجب بهذه القضية، اذ ليس من العدل ان يؤتى من مشارق الارض ومغاربها باناس لا يربطهم بنا اي نسب ليكونوا اكثرية مصطنعة، فاليهودية شيء والصهيونية شيء آخر. اليهودية دين تسلسلت عنه المسيحية، واعترف به الاسلام، فابناؤها من هذه الناحية لهم ما لنا، وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات. انما الصهيونية فكرة تحكم واستئثار وسيطرة سياسية لا علاقة لها قط بالدين. ولا نرضى بالتحكم والاستئثار، ولو بلغوا الاكثرية بفضل التوالد والتكاثر الطبيعي، لما كان لنا ما نقول، اما وان عملهم هذا مجرد انتقاص، فهذا ما لا يراه العقل، ولا الانسانية، ولا الدين. واني، وانا في منطقة مسيحية صرفة، بل ومارونية صرفة، اعلن ان هذه الفكرة هي فكرتها، وهي تؤيدها.

اهدن ٧ تشرين الاول ١٩٤٥

شهوة اشتهيت ان ازور منطقتكم العزيزة الجميلة المحبوبة لانحني اولاً امام ذكرى شهدائكم الذين سقطوا في هذه الساحة يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ . فنحن مديونون لهم ومديونون للذين سقطوا من امثالهم في انحاء الجمهورية اللبنانية في سبيل الاستقلال والحرية والسيادة ، وقد سجلوا علينا ديناً لا يمكننا ان نفيهم اياه الا اذا مشينا على هدى دمائهم المراقة في سبيل الكرامة الوطنية .

هؤلاء الشهداء كتبوا صفحة مجيدة في تاريخ الاستقلال اللبناني ليس بالحبر الاسود بل بالدم الاحمر القاني ، سقى الارض فكان زرعاً وريّاً في آن واحد ، فنعم الزرع وتبارك الري !

وكم يطيب لي ان اسمع عبارة تعودتم سماعها في هذا البلد ، الا وهي « صلاة الغائب » لان الشهداء لا تدفن الا اجسادهم اما نفوسهم الخالدة فيفتح الله العظيم ذراعيه ليستقبلها في فسيح جنانه . واما ارواحهم الخالدة فانها ترفرف فوقنا وتلقي علينا امثولة جديدة مستمرة في سبيل الكرامة الوطنية . غائبون هم باجسادهم التي واراها التراب ، ولكنهم غائبون وحاضرون في آن واحد لان ذكرهم بيننا يهتدى به .

ايها السادة ، شهوة اشتهيت ان ازور هذه المنطقة بل ان ازور الصغار قبل الكبار ، والفقراء قبل الاغنياء ، والضعفاء قبل الاقوياء ، والمحتاجين قبل الموسرين ، لان البرامج الحكومية لا توضع وتنمق في عبارات جميلة فحسب ، انما اريد ان تكون زيارتنا مثمرة وان تأخذ مداها في استماع مطالب الشعب اللبناني والوقوف على احتياجاته في جميع مناطقه ، وفي قراه المتواضعة والصغيرة بوجه خاص . لا

يلزمني بعد ما سمعت وقرأت وخصوصاً بعد ما عرفت فيكم من الاستمساك بروح الكرامة والاستقلال ان اعيد وازيد فيما يتعلق باستقلال لبنان ، انما ارى لزاماً عليّ ونحن في جبهة تعتبر اولية في ميدان الوطن ان ادعوكم وان استثير حميتكم لكي تكونوا صفاً واحداً في مقاتلة عدو واحد ليس هو عدو لبنان فقط بل عدو فلسطين وعدو البلاد العربية وعدو الانسانية .

قلت واكرر حتى لا يقع التباس في كلامي اننا نفرق في لبنان وفي جميع البلاد العربية بين الدين اليهودي وهو دين نحترمه ونجلّه وبين الصهيونية .

وليعلم اليهود القاطنون في لبنان وفي جميع البلدان العربية انهم اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، يتمتعون في بلادنا وفي جميع بلدانها من مصر الى العراق الى الحجاز بحرية دينهم لا يعارضهم فيه معارض .

اننا نفرق بين اليهودية التي هي دين وبين الصهيونية التي هي مبدأ وخطة سياسية ترمي الى الاستئثار والاستعمار وتريد ان تقلب الاقلية الى اغلبية مفتعلة بغية ان تسيطر عليها ، وان تتسرب منها الى بلاد اخرى . فهذه الصهيونية ننبذ واياها نقاوم ونحارب بكل قوانا ، ولا نرجع عن خطتنا في مقاتلتها مهما بلغ الوعد او بلغ الوعيد . وانتم يا ابناء الجنوب في منطقة حساسة وفي جبهة اولية ، فعليكم الانتباه اكثر من سائر اللبنانيين لان التسرب الصهيوني لا يعرف ديناً ، فهو يتجاوز الاراضي الى النفوس والنفوس الى القلوب فيتحكم بها بصورة مستترة ، وستتقدم حكومتنا الى مجلس النواب بمشروع قانون لمحاربة مثل هذا التسرب حتى ولو كان

مستتراً وراء اسماء لبنانية مستعارة ، فبين ايديكم او بالاحرى في عنق كل فرد منكم اضع هذه الامانة .

واذا كانت اهدن وهي المدينة المارونية المسيحية التي استفتيتها عن فلسطين فأجابتني بهتافات طبقت عنان الجو فكيف بصيدا وهي على الجبهة الاولية !

صيدا ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٥

ذكرى مؤثرة

انني اسكت هنا فلا اقدم لهذه الكلمة ، فهي تقدم ذاتها لان فيها عاطفة لا توصف .

في الثلاثين من شهر كانون الثاني من هذه السنة مر على النبطية موكب صغير يرفرف عليه العلم اللبناني ، فرأيت ابناءها مقفلين متاجرهم واقفين واجمين ، لانه في ذلك النهار ترك رئيس الجمهورية قاعدته الحكومية الى الاستشفاء في فلسطين ، وكنتم قد فعلتم ذلك احتجاجاً على عدم تسلمكم الجيش الوطني .

اجل رفرف ذلك العلم الذي رفعته حتى الحدود ووضعته بجانبي بعد الحدود ، وطلبت ، اذا قضيت نحبي في الغربة ، ان يضم الى قلبي قبل ان ادفن . اما اليوم فأطل عليكم موكب آخر تتقدمه دراجات الجيش يرفرف عليها العلم اللبناني ، ومفرزات الجيش الذي احتججتم على عدم تسلمه ، هذا الجيش الذي تسلمناه كاملاً بعدده وعُدده فأصبح سياج الامة . فهذه الفترة التي انقضت عليّ وعليكم نحن مدينون لرحمته تعالى باستكمالها واستكمال استقلالها في هذه البلاد . واذا كنتم فرحين ففرحكم لا يزيد عن فرح الرئيس وحكومته ونواب الامة لانهم يعرفون فيكم الصدق في العقيدة والاخلاص في الوطنية .

النبطية ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٥

كيف يريد الشعب

في القاسمية قال فخامته كلمة مرفيها بماضي جهاده مر الكرام ، ثم قال :

والآن فلننتقل الى افق اوسع ، لقد اغتفرنا لهم كل شيء اللهم غير احتقار دستورنا المقدس ، فكم من مرة وأدوه ثم خرجوا به والكل باكٍ حوله متفجع . وأدوه مراراً وبعث مراراً ، وعدّل آخر مرة ليصبح من اكرم وافضل الدساتير ، فسلام عليه يوم وئد ويوم عدّل ويوم بعث حياً .

ولي بعض الملاحظات على هامش رسالة العهد الذي تحتفظ وتحتفظون به ، وذلك لانكم تريدون ان يكون عملنا كاملاً . تسمعون بين آن وآخر همساً يقول بحل مجلس النواب ، وانا اسألكم لماذا ؟ لماذا نمد يدنا الى مجلس برهن في جميع مواقفه على انه عارف بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وانه لا يتعرف الى غير الاستقلال الحقيقي ؟

انه كان يدفعنا عندما تتحرج المواقف الى الجزم بالامر والخروج من الازمات . اهذا هو المجلس الذي يمسه الرئيس الدستوري ؟ كلا ، لاسيما بعد ان رافقنا اعضاؤه ولمسوا مثلما لمسنا حاجة البلاد وادركوا انه يتحتم علينا التعاون للانشاء والبناء ، في سبيل خير الوطن .

وسياسة البناء هي السياسة التي يتحتم علينا التمشي عليها الى ان تتحقق جميع رغباتنا في الاصلاح والتعمير .

اريد ان يكون شعبنا موحد الكلمة والهدف والعمل . لا اطلب ذلك لاني اريدكم ان تلتفوا حولي وانا انا الرئيس ، فالرئاسة عرض زائل وستنتهي مدتي كرئيس ، انما اطلب اتحادكم لنحافظ على لبنان وعلى مواثيقنا الدولية مع الدول المتحدة في سان فرنسيسكو ومع الجامعة العربية . ان المواثيق ضمانة لنا نحن الدول الصغيرة ، وهل بعد القنبلة الذرية من دولة كبيرة ام صغيرة ؟.. ان الدول لا تكون كبيرة الا باخلاقها ومحافظتها على عهودها ومواثيقها ، فلا تقولوا بعد الآن اننا دولة صغيرة . قد تكون دولتنا صغيرة الحجم ولكنها كبيرة القلب ، قلب شعب لمسته فاذا به يلتهب حماسة لصيانة الحق والكرامة .

القاسمية ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٥

ذكرى راشيا

يحسن الرئيس ، وحده ، ان يفي هذا الموضوع حقه من الوصف ، فاقرأ ما قال :

واما تأثري فان كل حفلة من هذه الحفلات تعيد إلي ذكرى لم تعد اليمة على نفسي ولا يجب ان تكون اليمة على نفوسكم ، الا وهي ذكرى ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

فمنذ سنتين حدث حادث غريب : اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس وزارته وتأليف حكومة شرعية في بشامون وسجن البعض وتشريد الآخرين واجتماع المجلس في مدارس وبيوت وخلوات ، واتخاذ النواب قرارات تاريخية تحتج على ذلك الوضع الشاذ سنحتفظ بها في المتحف الوطني دليلاً على يقظة النواب وسهر الامة .

اننا اذا عدنا بالذكرى الى الطرق التي استعملت من دخول البيوت قبل الضحى الى الاعتقال الى ما تلاهما ، يمكن ان يساورنا بعض الالم ، اما اذا نظرنا الى النتائج ، فلا يمكن الا ان يفعم نفسنا الفخر والغبطة لان هذا الاعتقال ثبت قدمنا في الاستقلال ، وحرر دستور البلاد ، وعزز سيادتها الوطنية . يقول الكتاب المقدس عن خطيئة آدم : ايتها الخطيئة السعيدة ، لولاك لما جاء الفادي . وانا اقول : لولا غلطة راشيا واعتقال راشيا لما كنا في

هذا الاستقلال .

وكما ان حبة الحنطة لا تثمر الا اذا دفنت في الارض ، كذلك الاستقلال فهو لم يثمر الا بعد ان دفن في راشيا .

نحن واياكم شركاء في كل هذه الامور التي مرت علينا ، لاننا لو لم نشعر ونثق بان الشعب يؤيدنا في هذه الخطة ، وينظر الينا كحكومة شرعية ، لما وصلنا الى هذه النتائج الباهرة . وليس لرئيس او لحكومة ان يعملا عملاً مهما بلغت قوته بحد نفسها ان لم يكونا مستندين الى ركن ركين هو الشعب الذي يستمدان منه القوة . فاذا رجع بعض الفضل الى الذين احتملوا مضض الاعتقال والتشريد ، فالفضل كله يعود الى هذا الشعب الذي لم يخف ان يتظاهر وان يجود بشهداء من ابنائه ننحني امام ذكراهم ما دمنا احياء . فلهم ولكم ايها الشعب اللبناني الشكر الجزيل على هذه المآتي ، وانا ارد اليكم الثناء العاطر لانكم انتم الذين استحققتموه لا نحن .

صور ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٥

الخروج من العزلة

قلت لك ان فخامة الرئيس يؤدي رسالة ، وان عنده لكل مقام مقالاً ، فاقرأ ما قاله في جزين ثم قابل بينه وبين ما قيل في الاماكن الاخرى لتعلم ان الرجل رسول الكيان اللبناني وداعيته الاول وموطد اركانه .

لقد جعلت جزين خاتمة المطاف في زيارة الجنوب ، لأعلن على مرأى ومسمع من مياه الشالوف المرسلة هديرها الابدي على الصخور ، ان املنا راسخ في نشأة الاستقلال الذي نشدناه ، وسعى اليه جميع اللبنانيين على السواء .

لقد كان بعض المسيحيين يتحفظون ، بل ويتخوفون من الاستقلال لانهم كانوا يرون فيه مجلبة للمشاكل ، وهي فئة قليلة سيطرت عليها دعاوات السوء ، فاستسلمت لها . ولقد قلنا لهذه الفئة : اطمئني ولا تصدقي الخونة والدساسين . وهذا ما اردده اليوم على مسامعكم وعلى مسامع الزعماء بوجه خاص في هذه المنطقة التي يجتمع فيها الدرزي والمسيحي اخوين لبنانيين على صعيد واحد ، الجار بازاء الجار والبيت قرب البيت ، ويلتقي فيها عنصران طيبان على حب الوطن وعلى نبذ العنعنات السياسية التي كانت تغذيها فيما مضى يد اجنبية .

اطمئنوا اذاً . فحقنا في الاستقلال صريح . لقد وطدناه بانتظامنا في هيئة الامم المتحدة القائمة على استقلال كل منها . خمسون دولة

تعترف لنا بذلك الحق وتضمنه ، والى جانب هذا الضمان البعيد ايضاً ضمان قريب في جامعة الدول العربية التي دخلناها بملء الحرية والاختيار.

كم عيرونا ؟.. وكم انتقدونا ؟.. بل كم افتروا علينا وخصوصاً عندما سافرنا الى مصر . قالوا اننا ساهمنا بالتفريط في حقوق البلاد واننا تعهدنا بالوحدة العربية وبادماج لبنان فيها . والآن وقد انكشف كل شيء – ولا خفي الا سيعلم – فقد عرف القاصي والداني اننا اثناء محادثاتنا العديدة ايدنا استقلال لبنان وسيادة لبنان دون وحدة او اتحاد . كما اننا حافظنا على حدود لبنان الحالية . وكان جل ما قلنا اننا اخرجنا لبنان من عزلة قاتلة له هدامة لمصالحه ، فكان بدء التعاون النزيه بيننا وبين سائر الدول العربية على اساس معاملة الند للنـــد .

جزين ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٥

شجب العزلة

ومن رسالة الرئيس الوطنية نفي ما ينعاه عليه خصومه وما اختلقوه من تهم ليبعدوا فريقاً من اللبنانيين عنه . وفي هـذه الخطبة يضع « ابن جلا » عمامته ليعرفه الشعب .

ولا اكتمكم انه لاسباب سياسية او تاريخية نجد فئة لا يزال يخامرها الشك بمستقبل هذا العهد . فلتطمئن هـــذه الفئة الى ان استقلالنا قد اصبح مضموناً من الغرب باشتراكنا في توقيع ميثاق الامم المتحدة ، ومن الشرق بدخولنا في جامعة الدول العربية . ولا يمكن للبنان او سواه ان يعيش بعد اليوم في عزلة عن اخوانـه وجيرانه ، لان العالم قد تطور في حياته الجديدة تطوراً يجعل مـن العزلة سجناً وقيداً ، وسيخلق عالم مـا بعد الحرب اوضاعاً واسساً لحياة جديدة لا تتفق بوجه من الوجوه مع مبدإ العزلة والانكماش في الدنيا الواسعة .

والذي يهمنا جميعاً هو الاحتفاظ باستقلالنا المقدس . ان هذا الاستقلال الذي نفديـه بالارواح والمهج مضمون بحول الله ، وبقوة عقيدة رجاله منا ، هؤلاء الرجال الذين اذا تكلموا صدقوا واذا عاهدوا او تعاهدوا وفوا بالعهود .

واستعيد هنا ذكرى اليمة تعود الى عام ١٩٤٢ فأقول : عندما كنا في مصر في ذلك العام راح البعض يخلق الشوائع بان لبنان

سيكون عضواً في وحدة او اتحاد ، ذلك لمجرد كوننا نستهدف سياسة استقلالية بحتة يصبح بها لبنان سيد شؤونه ومقدراته . ولقد كان جميل مردم بك في مصر حينذاك وكان يصرح امام النحاس باشا وسواه بانه لو كان جميع الناس في لبنان يفكرون كما يفكر بشاره الخوري لعدلنا عن المطالبة بشبر واحد من لبنان ولاعطيناه من اراضينا ما يريد .

ان هذه الذكريات عن الماضي مرة اليمة وما استعدناها الا لنقابل بينها وبين المستقبل الزاهر الذي كان ينتظر لبنان بفضل تلك السياسة الرشيدة .

لقد اصبحت مقاليد امورنا في يدنا ونحن دولة صغيرة ، فاذا لم نحافظ على وديعتنا صح فينا وفيها ، ويا للهول ، قول القائل :

اعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

حاشا ان يقال هذا فينا او ان ينطبق علينا ، ورئيسكم يضع بين ايديكم مطلباً عزيزاً هو الاتحاد . فلكم حكومتكم ولكم مجلسكم ولكم رئيسكم ، تجمعهم رغبة واحدة هي حب اسعادكم . فاتكلوا عليه تعالى واسعفوا هيئاتكم الرسمية على تحقيق الآمال . والى اللقاء حول الاهداف والمثل العليا . بارك الله بوطنيتكم جميعاً !

ابلح ٨ تشرين الثاني ١٩٤٥

المحامون جند وجنود القانون

القى هذه الكلمة على اعضاء نقابة المحامين ، وهي مملوءة حنيناً وشكراً ومحبة ، ودعوة الى توطيد اساس الكيان اللبناني .

ايها الزملاء الكرام ،

نشكركم شكراً جزيلاً على هذه الدعوة العائلية التي جمعتنا مع اسرة المحامين التي نفتخر بالانتماء اليها ، وحبذا لو كان بالامكان اقامة مثل هذه الحفلات تحت شجرة العدلية ، تلك الشجرة التاريخية التي يحن اليها كل محام مهما تقلبت عليه الظروف .

وثقوا ايها السادة ان ذكرى دار العدل لا تفارقني يوماً ، كما انني افتخر بالانتماء الى القضاء والى المحاماة وارجع بالذكرى الى ايام حلوة لذيذة قضيتها في قاعات القصر قاضياً ومحامياً ونقيباً .

ذلك ان مثل هذه المهمات تترك في النفس طابعاً لا يمحى يؤثر في اعمال الحياة كلها . وقد يعد البعض هذا الطابع ضعفاً في الرجل السياسي بينما نرى فيه نحن زملاءكم الموجودين في الحكم منارة تهدي الضمير الى الصراط المستقيم وتسدد الخطى الى طرق الحق .

وقد شاءت العناية ان تقام هذه الحفلة لزملائكم ورفاقهم في الوزارة بعد الاحداث الاخيرة التي برهنت ان في المحامين ، متى

اقتنعوا بالواجب ، صلابة لا تتزعزع وثباتاً لا تقوى عليه القوى الجامحـــة .

ان لبنان ايها السادة وضع في عنقنا امانة هي امانة استقلاله ودستوره وحرياته العامة والخاصة وكرامته وعزته الوطنية ، فكان لزاماً علينا ان نحافظ على هذه الامانة الغالية ، وقد نفذ الى قلوبنا ما اظهرت الامة في جميع طبقاتها من امان وكان المحامون في المقدمة . وقد عرفنا ما بذل من تضحيات في هذا السبيل ، وما برز للعيان من تضامن وطني ووعي قومي وتوحيد كلمة ووحدة صفوف ليعود الحق الى نصابه .

فكيف كان يمكننا ونحن ابناء القانون ان نقبل بطعن القانون او جزء منه ؟ كيف كان يمكننا ونحن خارجون من قصر العدل ان نقبل بانتقاص العدل ؟ فكان ما رأيتم وكان ما اردتم وكان ما شاءت الامة وما كانت تنتظره من ابنائها وقد اخذوا على انفسهم ان لا يخونوا لها عهداً ولا يخفروا لهـــا ذمة او يقلبوا لها ظهر المجن . حاشا ثم حاشا !

فخرج لبنان ، لبنان العزيز الذي نفديه بالارواح ، بعد هذه الهزة العنيفة بفضل ما ظهر من تضامن ابنـــائه وعطف الدول الحرة العظمى والدول العربية الشقيقة عليه ، بل بفضل العطف العـالمي على قضيته ، وبفضل العناية الربانية ، موفور الكرامة ، مرفوع الرأس ، مرصوص البنيان ، مدعوم الكيان ، ذلك انه لم يعد فيه الا لبنانيون لا يفرق بينهم دين او طائفة او مذهب او نزعة او حزب او ميل او غرض ، بل هم وطنيون اقحاح عرفوا قيمة الوطنية والكرامة القومية فبلغوا في ايام ما عجزت عنه السنون .

ونقول ايها الزملاء الافاضل ، وهذه هي كلمة الختام ، ان زملاءكم في الحكم يحنّون الى مهنتهم الاولى على حد قول الشاعر :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفـــه الفتى وحنينه ابـدآ لاول منزل

رجل الاقتصاد في المعركة

هنا يتكلم رجل العلم لا رجل السياسة والادب، ولكنه يظل اللبناني الاول في كل مقام وكل مقال.

ايها السادة،

لقد دخل رجل الاقتصاد في المعركة، ولئن بقي في مصاف العلماء فلأن حالات طارئة قاهرة اضطرته الى التخلي عن الصفاء الذي كانت تدعو اليه حالة السلم. فمنذ اليوم الاول من السنوات الاربع التي انقضت على الحرب، اقر العالم سياسته الاقتصادية، ومنذ ذلك اليوم ايضاً دعي الاقتصادي نفسه الى التجند لخدمة بلاده.

وقد ارتفعت مساهمته في المجهود العام الى مستوى العراك الجبار الذي رأينا بعض مظاهره، ومنها مسائل الانتاج الصناعي والزراعي ومعاضل النقل والتموين والمشاكل المالية والنقدية الى ما هنالك من الشؤون الخطيرة التي كان لا بد من الالتجاء في حلها الى معاونة الاقتصاديين الاختصاصيين في الاقتصاد السياسي.

وليس ادل على ذلك، مما عرض منذ آن عن اهمية مختلف اللجان والهيئات التي انشأها اصدقاؤنا وحلفاؤنا لهذه الغاية والتي يطيب لي ان اجاهر بان لبنان يقدم لها بطبيعة الحال مؤازرة

فعالة . وكان من نعم الله ان تنجو بلادنا بسرعة من فظائع التخريب المادي في هـذا العراك ، غير انها متضامنة مع الأمم المتحدة في مجابهة تيار ذلك العراك الذي تؤثر نتائجه حتماً في مختلف نواحي حياتنا .

ان الحياة السهلة نسبياً التي قضيناها لبضعة اعوام خلت قد بدلتها الضرورات الحاضرة باحوال اقل رفقاً مما مضى ، وفي النتيجة فقد انتقل لبنان من اقتصاد السلم الى اقتصاد الحرب ، وهـذا الاختيار ، الذي لم يخل من بعض الصعوبات فيما مضى ، ومن صعوبات لا تزال ماثلة نوعاً الى اليوم ، ينطوي في جوهره على تعاليم مفيدة تبينتها خلال التقرير العميم الفائدة الذي سمعته الآن .

ان لبنان وقد اصابه هو ايضاً رشاش الحرب ، يقيس في آن واحد مدى موارده ومدى ما ينقصه ، وهو في آن واحد ايضاً يتعلم الاعتماد على نفسه وقيمة تعاونه مع الخارج .

ايها السادة ، انني ارى بارتياح اكيد — وانتم خير اخصائيين في القضية — ان مشاريع الاعمال التي تتعهدونها بالنسبة الى الاتساع الذي يفرضه التطور في زمننا هذا ، تسير بعزيمة متزايدة نحو درس تأثير الحوادث الاقتصادية في المحيط اللبناني .

في علم الثروة والتبادل ، او العلم المجدي النافع ، انه يمكن بل يكون من الاصح ان نعرف الاقتصاد السياسي بغرضه الذي هو في اعتقادي دراسة الانسان في علاقته مع الثروة المادية . ولا شك ان هنالك تعريفاً اكثر لبنانية يعبر عن رجل الاقتصاد الذي عرّفه العلماء باللبناني في نزعاته ، وحاجاته ، وصفاته ، ومغامراته ، وموقع بلاده الجغرافي والبيئة التي يعيش فيها .

ايها السادة ، لست في موقف من يسدي النصح علماء في مستواكم انتم الذين يرتكزون على علم ومعرفة واسعين ، ولكنني في معرض شكركم على اشراكي مع اركان الحكومة في هـــذه الحفلة ، التي تدشنون بها الرجوع الى اعمالكم ، وفي معرض الاشادة بالاهمية التي نعلقها على معاونتكم ونشاطكم . فرجائي اليكم ان تضاعفوهما . انتم العاملون على انشاء البيت الذي يجد اللبنانيون انفسهم سعداء في رحابه ، ويغتبطون بسكناه جميعاً ، وفي خدمة وطننا ليس من مجهود يضيع ، ولا من اتحاد غير مثمر .

٤ تشرين الثاني ١٩٤٣

الراعي بشر خرافة

كان اللبناني منذ دب بين صخور هذا الجبل ميالاً الى الاغتراب، تواقاً الى الهجرة ، عملاً بقول شاعرنا العربي : تغرب ففي الاسفار خمس فوائد . واشتهرت العصامية اللبنانية في جميع اقطار المسكونة حتى قال احدهم ، وقد تكون نكتة : عندما احتل اليابانيون بور آرثر وجدوا فيه لبنانياً . ولهـذا شاء الرئيس في مطلع « عهده » ان يتحدث بعطفه الابوي الى شطرنا المغترب فوجه اليهم على اجنحة الاثير رسالة تفيض حناناً وحنيناً ومحبة هاك جزءاً منهـا :

انتم ايها المغتربون استقلاليون ، بل واضعو الحجر الاساسي في زاوية الاستقلال اللبناني .

انتم استقلاليون بمجرد اغترابكم لانكم حطمتم تقليد « التوكلية » على الغير وثرتم على السنّة السارية والتقليد المستحكم في النفوس . ان اغترابكم كان ثورة على المحيط القابع القابل بحالته . ان اغترابكم هو تحطيم لقيدين خانقين : سلاسل الحرية السياسية ، وسلاسل الفقر المذل . اغتربتم وقد بلغ اغلبكم مناه فتمتع بحرية الفكر والقول والعمل في بلدان خلقها الله قوية سعيدة مضيافة واسعة تستوعب ابناءها والداخلين اليها ، وبلغتم بكدكم وجدكم ثروات طائلة لم نكن نغبطكم عليها — واللبناني ابيّ النفس — بقدر ما كنا نغبطكم على البيئة التي كنتم بها تعيشون والهواء الطلق الذي كنتم تستنشقون،

خصوصاً وانه قد نالنا من ثرائكم ثراء ومن رخائكم رخاء ومن مالكم المتصل الوريد عمران وبناء.

فوالحالة هذه وانتم منا ونحن منكم لا يصعب عليكم ايها المغتربون الثائرون ان تتفهموا ثورة الشعب اللبناني وحكوماته المتعاقبة منذ سنة ١٩٤٣ على القيود التي كادت تودي بحياتنا العامة فتجعل منا احياء كالاموات، وعبيداً يرضون بعبوديتهم لانها توفر عليهم الجهد والعناء، ومتوكلين مستسلمين كسلاً او طمعاً بارضاء من كان له السلطان والحول والطول، ومن كان امره لا يرد وارادته لا تقاوم برضى وتراخي البعض من ضعيفي الايمان بحقهم الصريح في الحياة الحرة التي عرفها لبنان من اجيال يوم كان الغرب طفلاً رضيعاً.

ان اول عمل فكرنا به هو الاتجاه اليكم لشد الاواصر بين المقيمين والمغتربين فنجعل منكم ايها الاخوان والابناء الاعزاء جزءاً متمماً للبنان. انكم في نظر حكومتكم لا تزالون لبنانيين وبمجرد عودتكم الى بلادكم بصورة نهائية تستعيدون حكماً جنسيتكم اللبنانية. كل ذلك لكي تشعروا وتعرفوا ان لبنان لا ينساكم وهو يرقب رجوعكم، لا يهدف الى ما حصلتم من مال بل ليستنير باخلاقكم وثقافتكم وواسع اختباركم، فتكون عودتكم الى الوطن الام فاتحة عهد جديد مزدهر منير ان شاء الله.

اجل اننا لا نزال بعيدين عن الكمال غير اننا قد مشينا خطوات لها قيمتها الاكيدة في هذا الحقل، وعلينا ان نتم عملنا بمعونتكم لتجهيز البلاد تجهيزاً اقتصادياً شاملاً خصوصاً وان لبنان لا يعد بلداً فقيراً ابداً — هو بالحقيقة دولة صغيرة انما وهبها الخالق مؤهلات

عديدة وامكانيات اقتصادية لا بأس بها اذا عرفنا ان نستفيد من مواهب الطبيعة واذا ساعدنا انفسنا وساعدتمونا على استثمارها . ان شاطىء البحر والجبال والاودية والهواء العليل والسماء الصافية ورمال الشاطىء وثلج الجبال ، كل ذلك جمال ورأسمال ، فعلينا ان نستفيد منه باقرب وقت .

واذا مـــا اتجهنا بانظارنا اليكم لمعاونتنا في سبيل تحسين اقتصادياتنا فلا نطلب منكم معونة مجانية – وان كنتم مستعدين لاعطائها لمواطنيكم كما فعلتم بالماضي – بل جل ما نطلبه منكم ان تقوم رساميلكم مقام الرساميل الاجنبيـة ، فتفيدون وطنكم من وجهة مادية ووجهة معنوية وتستفيدون بصورة مشروعة مـع كل الضمانات التي يقتضيها مثل هذا التعاون بالرساميل ، وهذا كله في مقدوركم وامكانياتكم .

نحن نعلم ان الكثيرين منكم اكتسبوا لاسباب متنوعة جنسية البلاد التي يقيمون فيهـا . وان الجيل الجديد قد لا يعرف لغتنـا وعاداتنا وتقاليدنا لانه ولد في بلاد الاغتراب ونشأ فيها وترعرع دون ان تسمح له الظروف بالعودة ولو بطريقة السياحة الى وطننا لبنان . فنحن عازمون على ان نسهل لهم العودة الى وطنهم الاول ليتعرفوا اليه ويتمتعوا بكل ما فيه من وسائل خلابة تستهويهم .

ولا شك ان صوت الدم الكامن في صـــدورهم سيهيب بهم لاعتناق حب ارضنا وارض آبائهم كما يحبهـــا الجيل الاول الذي اغترب .

اما وقد افرغت في هذه الرسالة – مع عاطفة القلب الصميمة – افكاراً وآراء وجهتها الى عقولكم النيرة لتميزوا الحقائق ولتكونوا

على بينة من شؤون بلادكم ، فقد بقي علي ان اصارحكم بحلم يخالج نفسي منذ امد ، اطلب منه تعـالى ان يحققه لي في هذه الفترة الباقية من ايام رئاستي المحدودة المدى بحكم الدستور . وهذا الحلم هو ان تمكنني الظروف من زيارة بعض البلدان التي نزل بهـا مواطنونا الكرام ، فاحمل اليهم بنفسي رسالة لبنان المقيم الى لبنان المغترب ، فاعانق معانقة اخوية الجيل الذي يعرف لبنـان ولغة لبنان وتقاليد لبنان وعادات لبنان ويحن الى الوادي الظليل والجبل الشامخ والاغاني اللبنانية . واضع قبلة حنان على الجيل الثاني الذي لا يعرفنا لحد الآن ويمكنه ان يتعرف الينا بقليل من الجهـد . وانحني على الجيل الاجدّ الذي لم يبلغ بعد اشده وفي عينيه بارق الامل وعلى شفتيه بسمة المستقبل . فاكون قد ضممت الى صدري كل لبنان المغترب ضمة تغني عن كثير من رغائب النفس ، ويتكلل بها جهدي المتواصل في سبيل جمع الصفوف ان في الداخل او في الخارج لمجد لبنان وسعادة لبنان .

وانتم ايها الاخوان والابناء الاعزاء لا شك انه يخالج انفسكم حلم مماثل لحلمي ، الا وهو ان تعودوا الى الوطن ، الى ارض لبنان ، وان تتمتعوا بكل ما وهبته اياه العناية من جمال وما كسته اياه الطبيعة من مهابة وجلال ، فيجتمع حلمانا في هذه الارض العزيزة ، ارض الوطن ، وتتعانق ارواحنا ، ونستعيد ذكرياتنا ، وتتضـافر جهودنا ، ونستعذب كل تضحية في سبيل لبنـان واستقلاله ومجـده وعمرانه .

ايها الاخوان والابناء الاعزاء ،
هذه هي رسالتي اليكم .
عشتم في رغد وهناء .
عاش لبنان !

٢٠ تشرين الاول ١٩٤٥

٢٢ تشرين الثاني

يفسر فخامته في هذه الخطبة معنى هذا اليوم ، وكيف صار عيداً وطنياً ، ليس لبشاره الخوري فيه اكثر من سواه، لان للاعياد الوطنية معاني تذوب فيها الاشخاص لتبقى آثارهم وما قدموا لاوطانهم .

يحتفل لبنان اليوم بذكرى الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ . واذا كان يتعذر على المرء ان يفصل نفسه عن الحوادث التي ترك فيها جزءاً من نفسه ، وقطعة من عمره ، فاني اشعر في هذا اليوم التاريخي – بالرغم من السرور الشديد الذي يخالجني ، بل الفخر العظيم الذي يهزني – بان هذه الذكرى ليست ملكاً لرئيس جمهورية ولا لرفاق له في الحكم مرت بهم محنة ثم ظهروا عليها ، وانما هي ملك لبنان والحرية والحق ، وملك الامم المتحدة والامم العربية والعدل الانساني الذي من اجله خاضت هذه الحرب وضحت في ميادينها بالملايين .

وها انذا احتفل بهذه الذكرى كأني من اللبنانيين كبيراً كان ام صغيراً ، مقيماً كان ام مغتربا ، فاحيي يوماً تحطمت فيه القيود التي تراكمت على الوطن من الخارج ومن الداخل واشتبك بعضها ببعض ، واعان بعضها بعضاً على منعه من اداء رسالته ، يوماً تكلل فيه جهاد اللبنانيين الطويل في سبيل

استقلالهم ، وعادت عليهم الاقدار بثمن مـــا دفعوه من ارواح شهدائهم ، وتكرست فيه الوحدة الوطنية ، فاذا لبنـان المتهم على التاريخ بانقساماته الطائفية ، قد تألب طائفة واحدة شدتهـا المحن ووثقت بينها الاماني .

واحتفـل بهذه الذكرى عيداً للتعاون بين لبنان والاقطار العربية ، وافتتاحاً لعهد جديد من التـــآخي بينه وبينها ، والعمل المشترك على تحقيق الاماني المشتركة . فقد لقي لبنان اثناء محنته من هذه الاقطار ملوكاً ورؤساء، وحكومات وشعوباً ، عطف الشقيق على شقيقه . وان ينسَ لبنان لا ينس هذه الايدي الكريمة التي اشتبكت حوله من كل صوب . وكيف ينساها وقد مدّ لها يده وعاهدهـا على السراء والضراء ، وها هو اليوم يجلس الى اصحابهـا في جامعة الدول العربية ويتعاون واياهم على ما فيه خيره وخيرهم اجمعين .

واحتفل بذكرى الثـــاني والعشرين من تشرين الثاني عيداً لانتصار الديمقراطية على الطغيان ، وطلوع فجر المساواة بين الشعوب لا فرق بين قويها والضعيف . فقد شاءت العناية الالهية ان تجعل من لبنان حقل اختبار للمبادىء السامية والمثل العليا التي اعلن الحلفاء انهم في سبيلها مقاتلون . وهكذا اتيح للبنان ، هذا البلد الصغير بمساحته ، الكبير بقوة حقه وعدالة قضيته ، ان يذوق باكورة ثمار العهد العتيد ، فبادرت الامم الحرة الى الاخذ بناصره ، واعانته على تطهير دستوره واستعادة حقه ، ثم استقبلته في الاسرة الدولية عضواً من اعضائها له ما لهم من حقوق وامتيازات .

تلك هي المعاني بل الاعيـــاد التي احييها في ذكرى الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ . معانٍ تذوب فيها الاشخاص

لتبقى آثارهم وما قدموا لاوطانهم ، واعياد تتكرر على الدهر للاستقلال والحرية والديموقراطية ، والثلاثة للبنان ، وخير لبنان ، ومجد لبنان .

٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٥

ذكرى الجلاء

القى فخامته هذه الطرفة الفنية البديعة بمناسبة ذكرى الجلاء ، فامده حب لبنان بآية من آيات البيان الرفيع .

ايها اللبنانيون ،

خص الله القدير وطنكم بالغزير من هباته ، فخلقه منارة للفكر ، وصورة للحضارة ، ومهداً للتاريخ . ما اغرق باحث في درس الخليقة عائداً الى عصورها الاولى ، الا واسم لبنان امامه يتألق سنى في الاساطير والحكم . وطنكم لبنان ، هذا البلد الفريد بين البلدان ، ضاقت ارضه وانبسطت سماؤه ، ففي مواكب التاريخ وفي كواكبه ايماءة منه ونور .

امجاد وعظائم ، هجعت في حقبة من الزمن ثم استيقظت ووثبت من مهاجعها واطلت على الملأ بلبنان وهو بلد حر مستقل يقترن مجده التاريخي الغابر بمجده الوطني الحاضر . ويطيب لي ولكم في هذه الليلة ان نرى هذه الحقيقة التاريخية ماثلة للعيان في ناحية من الشاطىء اللبناني ، يوافيها الموج ظامئاً الى تفهم الكتابات المنقوشة على صخورها ، فاذا باثر لبناني تاريخي مجيد ينطق على المدى بفوزكم في معركة الاستقلال ، وبتحرير ارضكم . سطور مذهبة خططتموها

بدمائكم ، ومهرتموها بارواح شهدائكم ، واقمتم من تاريخ الجلاء ذخيرة عزيزة لاحفادكم وللاجيال المقبلة .

ايها اللبنانيون ،

لقد كوفئتم باجر المخلصين الصابرين . ان ذكرى الواحد والثلاثين من كانون الاول عام ١٩٤٦ كللت جهادكم وسخاءكم في سبيل لبنان ، وكانت وثيقة في ايديكم ، وغاراً فوق جباهكم ، ولؤلؤة على صدوركم ، فناتم من تاريخها حداً فاصلاً بين عهدين .

لقد سجلنا فوزنا الاول في معركة الجلاء ، فلنسجل فوزنا الثاني والاخير في الحفاظ على تراثنا الوطني الغالي ، قديمه وجديده ، ولنبق ، رئيساً وحكومة وشعباً ، في خدمة لبنان بعد ان احتل بين مواطن الامم مكانته من السمو والمجد ، ولنرتفع بقلوبنا وافكارنا نحو المثل العليا الخليقة بتاريخنا ، ونحو الاهداف السامية التي تسدد خطى الشعوب في حياتها الاستقلالية على طريق سوي .

ايها اللبنانيون ،

ما ان يحين منتصف هذا الليل حتى يسجل لبنان عامه الخامس في عهد الاستقلال ، وهو امين على عهوده مع الدول الشقيقة والحليفة ، وحتى يسجل سنته الاولى على الجلاء ، جلاء الجيوش الاجنبية ، مستمتعاً برؤية جيشه العزيز حارساً لعلمه ، وحامياً لذماره . وما ينتصف هذا الليل ، بين العامين وهما يتعانقان ويفترقان ، الا ويغيب وجه من وجوه الزمن ليطل وجه آخر يناط بالبشر الاحياء ان يدبجوه بالالوان والمعاني . فلنكتب صفحة غراء في قلب هذا العام الآتي ،

ولنضف الى سفر اتحادنا ونضالنا اسطراً جديـــدة ، ولنبق جنود عقيدة وايمان في سبيل لبنان .

وانه ليسعدني في هذه الذكرى التاريخيـة ، وفي مستهل السنة الجديدة ، الضراعة اليه تعالى بان يتعهد وطننا بفيض مـــن ضيائه ونعمائه ، وبان يجعل ايام هذا الوطن الحبيب مواسم زاهية بكم في الوطن والمغترب ، وايامكم فيه زاخرة بالهناء والخير .

عشتم ايها اللبنانيون .

عاش لبنان !

٢١ كانون الاول ١٩٤٧

فكرتنا في دنيا الانسان

هي كلمة وجيزة افتتح بهـا المؤتمر الثقافي العربي المنعقد في لبنان ، فصحت فيها الكلمة المأثورة : خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطـل .

تجتمعون اليوم في مؤتمر يبحث شؤون الفكر والثقـافة . ومن اجدر منكم بذلك ؟ انتم جميعاً ، ابناء تلك البلاد التي كانت اول من اطلق الفكر من عقاله ، وجمع مشاعر الانسان في طاقة انتشرت في الآفاق واشعلت ناراً لا للتخريب والتدمير ، بل للانشاء والتعمير ، وارسلت على العالم نوراً ما يزال يستضيء به على مر الدهور .

اجل ، من على هذه الشواطىء ، ومن قلب هذه الجبال ، ومن تلك السهول والمنبطحات من قمم لبنان الى ما بين النهرين ، الى ارض الكنانة ، من القدس ومكة وبيروت ودمشق وبغداد والقاهرة خرجت الفكرة الانسانية الى دنيا الانسان .

فما من مبدإ وضع للعقل قواعده ، ولا من فكرة نظمت البشر في سلك الحضارة الا ولها في بلدانكم اصول بعيدة .

انكم ابناء تلك الشعوب التي حملت رسالة الحب والسلام ، وهل الحب والسلام الا من وحي الروح ، وهل الثقـافة الا مظهر من مظاهرها الرفيعة ؟

انكم من اجل توطيد الثقافة تعملون في هذا المؤتمر ، الثقافة

الحقيقية ، التي تردّ الانسان الى مصادر وحيه ، وتقيم السعادة على اسس متينة من الصفاء الروحي الذي لا ينظر الى المادة الا بمقدار ما تشيع من الحب والطمأنينة بين البشر .

هذه هي رسالتنا ، رسالتكم ، وسنظهرها اليوم كما اظهرها الاجداد من قبل .

٢ ايلول ١٩٤٧

خطبة الجلاء

يعرف المؤمن المثابر الكبير واجب تجديد الايمان في كل يوم ، بل في كل ساعة ، فوقف بشاره خليل الخوري ، امام لوحة الحرية والانعتاق ، بخشوع وتواضع ، يجدد ايمانه القوي بلبنان الذي جددته العناية على يده : وما من يد الا يد الله فوقها .

ايها اللبنانيون ،

بحول الله القدير جل جلاله ،

بفضل المجاهدين اللبنانيين من مقيمين ومغتربين منذ فجر التاريخ اللبناني حتى يوم جهادنا هذا ،

بفضل شهدائنا وضحايا النفي والسجن والتشريد منا ،

بفضل تعاوننا الوثيق مع البلدان العربية ضمن ميثاق الجامعة ،

بفضل اندماجنا في مؤسسة الامم المتحدة على اساس المساواة ،

بفضل مواقف مجلسنا النيابي وحكوماتنا الاستقلالية المتعاقبة ،

بفضل وفودنا الامينة التي ايدت في عاصمة بعد عاصمة حجة لبنان بالانعتاق العاجل والامانة في تنفيذ العهود والمواثيق ،

بفضل اللبناني المجهول الذي ناضل وتألم ولم يضن بعرق جبينه ودم عروقه ،

تم جلاء جميع الجيوش الاجنبية عن الاراضي اللبنانية في العام

الرابع لهذا العهد الاستقلالي السعيد .

صفحة مجد بيضاء مذهبة السطور طواها تاريخ اليوم ذخيرة لاجيال الغد وفتح صفحة امل غير خلب برقه للاجيال المقبلة .

ما انتهى جهاد الا وابتدأ جهاد ، لان الحياة لا تعرف الركود ، ولا تتسامح مع المتواكلين المتخاذلين . الأعين شاخصة اليكم ايها اللبنانيون ، والآمال معقودة عليكم ، ومذ اصبحتم ولاة امركم واصحاب داركم ، الارض ارضكم والعلم علمكم والجيش جيشكم ، اخذتم على انفسكم المسؤوليات الجسام قسمة الرجال الاحرار في الوطن المحرر .

فلا مفر لكم ولا ملاذ ولا ستار ولا سند الا ما تصنعه ايديكم من تكاتف على العمل وتضامن في السير وعقد خناصر على الخير وتضحية دائمة في سبيل المصلحة العامة .

فتكران الذات عندما يدعوكم داعي الوطنية ، وتناسي الضغينة والاحقاد عندما يدق النفير ، وصفوف متراصة حسباناً للطوارىء ، هذا لا سواه يضمن لكم دوام نعمة الاستقلال كي لا تملك عليكم اوطانكم وانتم عنها غافلون .

ايها اللبنانيون ،

ثقوا ان يدنا على معصم الامة تتبع دقات قلبها النابض لتنفذ الى مكان القوة ومواطن الضعف فلا تنام لنا عين ولا يهدأ لنا بال حتى نراكم سائرين على المبادىء السامية التي هي سياج الوطن ، وعلى المثل العليا التي بدونها لا تحلو الحياة ، وعلى احترام القيم المعنوية التي هي اشد مضاء وانصع سناء من بوارق السيوف .

واعلموا ان للبلد الصغير اذا احسن سياسته ووطد علاقاته الخارجية وسار على الصراط المستقيم بالعدل والاعتدال وجعل من ادارته مثال الادارات علماً ونزاهة ورفع ثقافته الى المستوى الرفيع ، اشعاعاً قد يحسده عليه البلد الكبير . وكفاكم ايها اللبنانيون ان لبنان وان قلّت موارده المادية ، معدن خصب للرجال ، يستخرجهم التهذيب والتعليم كما تستخرج الحجارة الكريمة على الصدور زينة وعلى الرؤوس اكليلاً ، ولا تخشوا ضيقاً في ميدانكم ، فقد سبق لكم ودرجتم في ميادين العالم القديم والجديد ولم تزالوا لبنانيين رغم بعد الشقة والمزار .

كفاكم ان تكونوا من هذا الشرق مهبط الوحي الذي ينير اليوم سبل العالم الحديث ويرد الانسانية الى مبادىء العدل الاجتماعي والحق الدولي .

وانه ليسعدنا في هذا اليوم التاريخي ان نجدد ايماننا بلبنان . اننا نؤمن بمن خلقه وابدعه صورة من خلوده . نؤمن بسمائه وترابه ومائه . نؤمن بصخره وبثلجه وبأرزه . نؤمن بجماله . ونؤمن على الاخص برجاله في الوطن وفي المغترب . ونؤمن ايماناً حياً ان يد الله مع لبنان ليؤدي على اتم ما يرتجى رسالته التاريخية ، رسالة العلم والادب والثقافة ، رسالة السلام ، رسالة الجهاد والوطنية والتضحية ، رسالة العالم الجديد الجميل الساعي وراء الطمأنينة والاستقرار بعد سفك الدماء وتعذيب الابرياء .

فالى الامام ، الى العمل المثمر ايها اللبنانيون .

عاش لبنان !

١ كانون الثاني ١٩٤٧

خطبة التجديد

رأى لبنان ان رسالة الشيخ الامين لم تتم بعد، وان السفينة لا تزال محتاجة الى ذراع ربانها الجبارة، لتبلغ المرفأ الهادىء، فجدد ولاية المجاهد الاكبر. وخير ما نقول في هذا العمل الرشيد هو كلمة وردت في هذه الخطبة : انه تدبير استثنائي يتجاوز الفرد الى صميم العقيدة .

حضرات النواب المحترمين ،

ان عبارات الشكر عاجزة عن بيان العواطف التي اقابل بها هذه الثقة الغالية التي يجددها لي مجلسكم الكريم ، والمسها كل يوم في مظاهر تأييد الامة . ذلك كله يتجاوز ولا شك حدود الفرد الى ترسيخ عقيدة تختلج في صدور اللبنانيين وتتعلق بمبدإ الميثاق الوطني الذي اختطته الامة لنفسها يوم ولتني مقدراتها للمرة الاولى في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٣ . ولا يوازي شكري الجزيل لحضراتكم وللشعب اللبناني اجمع الا شعوري بالمسؤوليات التي يضعها على عاتقي تجديد الولاية . وكل يعلم اني كنت ولم ازل ولن ازال اقابل تقدير الشعب اللبناني ومجلسه الكريم باحساس عميـــق بالواجب نحوه في شتى الظروف الخارجية والداخلية .

واعتقادي ان ما حدا بحضراتكم ومـا كاد الشعب اللبناني ان يجمع عليه في هذه الآونة لاتخاذ مثل هذا التدبير الاستثنـائي

هو حافزان : التفاتة نحو الماضي القريب ، ونظرة الى المستقبل المؤمل .

فالماضي القريب هو التفاف الامة حول ميثاقها القومي . هو تضامنها في انشاء الالفة والوئام . هو نزعتها الصادقة الى تدعيم الاستقلال . هو الانطلاق من العزلة الخانقة نحو التعاون الوثيق مع اخواننا وجيراننا في دنيا العرب . هو العلاقات الحسنة مع الدول جمعاء . هو الاشتراك في هيئة الامم المتحدة كعنصر فعال لاحقاق المثل العليا . هو بموجز القول الاشعاع اللبناني في حقول التعاون الاقليمي والدولي على اوسع مدى .

اما المستقبل فبيده عز وجل ، ونحن من المؤمنين بقدرته وسلطانه ، وما علينا الا اقامة الاهبة لمجابهة الاحداث ، والاهبة التي اردتموها وارادتها الامة هي الاستمساك اولاً بكل ما تحقق ، والاستمرار عليه والاستقرار فيه ، مع تطور مطرد من الحسن الى الاحسن . فالكمال هدف البشرية وهي ساعية اليه لانه مثلها الاعلى ، ونحن ساعون اليه لانه هدفنا الاسمى .

اننا نعلم تمام العلم ما هي الوثبات الصميمة التي تتلجلج في صدر الامة . وأن اعز ما يخالجها في الآونة الحاضرة هو القيام بالواجب كاملاً غير منقوص نحو شقيقتنا فلسطين العربية حيث قضى الحق والعدل ان تتعطل لغة الكلام ، وان يثب لبنان مع سائر الدول العربية الى حماية اقداسها وحفظ ارواحها البريئة ، والى العمل الجدي المجدي لنجدتها وانقاذها ، وان تخفق الوية النصر على مواكب جنود الحق في طريقهم الى تحريرها . ولقد بدت بوادر هذا الظفر يوم تجلى تضامن العرب وتكاتفهم في سبيلها . ويطيب لي ان اصرح علناً ان لبنان قام بقسطه المثمر في هذا السبيل كما ساهم بمجهود حقيقي

رافقه بقلبه وجنانه ، وحضنه بكل جارحة من جوارحه .

ونحن واقفون ايضاً على ما يصبو اليه الشعب اللبناني مع دوام الهدوء والاستقرار ، الا وهو الاصلاح الواسع الشامل . ومن واجبنا ان نصارح الامة باننا مستعدون تمام الاستعداد لمثل هذا ، واننا مخلصون في نيتنا لتحقيق رغائبها المشروعة الحقة . ولا يسعنا اعترافاً بالحقيقة الواقعة الا القول ان كثيراً من الاصلاح قد تنفذ في حقول عديدة وان بعضه قيد التنفيذ . وان التوسع في هذه الخطة ضروري جداً مع العلم انه اذا اختلفت الطرق والاساليب فالامر الذي لا خلاف فيه هو ان يسود النظام شتى الادارات وان لا يكون من سلطة او سلطان لغير القانون في سائر مصالح الدولة ومرافقها ، واولى من اصلاح النصوص اصلاح الروحية والعقلية واعداد النفوس للتضحية المتوجبة على الافراد لصالح المجموع ، وهذا ما سنسعى اليه بكل قوانا وبمؤازرة الامة جمعاء . اعرف ما تطلبه الامة مني : المحافظة على الصالح مما تم ، والقضاء على الفاسد اينما كان .

حضرات النواب الكرام ،

التفاتة الى الماضي ونظرة الى المستقبل المؤمل دفعتاكم ودفعتا الامة الى تدبير استثنائي يتجاوز الفرد الى صميم العقيدة . وهما تدفعانني لان اجدد لحضراتكم وللامة العهد اليقين باني اضع نصب عيني وامام الله وامام ضميري هذه المسؤولية العظمى التي حملتها من ثقتكم لاكون الخادم الامين للشعب اللبناني الابي النبيل الذي قلد عنقي شرفاً ما بعده شرف ، وسلمني امانة غالية ما فوقها امانة ،

الا وهي المحافظة على سيادته واستقلاله ، واسعاد اللبنـــانيين من مغتربين ومقيمين ، وضمان العدل لجميع ابنائه ، والوقوف حكماً نزيهاً عادلاً بين مختلف نزعاته ومشاربه واحزابه . واطلب منه تعالى ان يسدد خطاي وينير طريقي لاسير بمؤازرتكم ومؤازرة الحكومة والامة بهـذا الوطن الحبيب في معـارج الفلاح والاصلاح والمجد والازدهار .

عاش لبنان !

٢٧ ايار ١٩٤٨

يمين التجديد

عندما اولتني ثقة المجلس السابق مقدرات البلاد لاول مرة في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٣ حددت من على هذا المنبر التوجيه الجديد لسياسة العهد الاستقلالي ، ذلك التوجيه المستوحى من طبيعة لبنان ووضع لبنان ، معبراً عن اماني اللبنانيين فكأننا واياهم على موعد لاعلان ذلك الميثاق الوطني الذي دمج العناصر اللبنانية دمجاً وانتظاماً والذي سرنا عليه جميعاً بكل امانة واخلاص .

وعندما اولاني مجلسكم ثقته بتجديد الولاية للمرة الثانية في السابع والعشرين من شهر نوار من عام ١٩٤٨ حددت ايضاً من على هذا المنبر ما حدا بكم الى اتخاذ هذا التدبير الاستثنائي مما تجاوز الفرد وتعداه الى مبدإ الاستقرار والاستمرار اللذين نشدتهما الامة اللبنانية جمعاء منتظرة منا المحافظة على الحسن مما تم ، والقضاء على السيء اينما كان .

وفي الحالتين قطعت على نفسي عهداً علنياً بان اكون الخادم الامين للشعب اللبناني لأسير به في مدارج الرقي والفلاح والاصلاح ، واحافظ على ذلك الميثاق الوطني الذي لا حياة للبنان بدونه .

واليوم بعد ان حلفت يمين الاخلاص للدستور ، وبعد ان استمطرت في نفسي بركات الله وخيراته على الامة اللبنانية ، اعيد

واكرر ان اللسان يعجز عن شكرها وشكر حضرات نوابهـا الكرام على تجديد الثقة بي ، فارانى ابادل الشعب اللبناني ثقة بثقة وحباً بحب . واحمد الله على ما انقضى وفات واستعينه على ما هو آت . وليس شعوري بالفخر والاعتزاز في هذا الموقف ليحجب عن نظري لحظة واحدة شعوري بالمسؤولية العظمى الملقاة على عاتقي وبالواجبات التي يستلزمها مقام الرئاسة ليظل للجميع على السواء حكماً عادلاً نزيهاً وليوجه سياسة الحكومات المتعاقبة نحو الخير العام .

اما هذا التوجيه فاوله المحافظة على علاقاتنا الحسنة مع الدول الاجنبية والسهر على ان يزداد تبادل التمثيل اتساعاً وان يتعزز حتى نتمكن من المحافظة على مركزنا الادبي في العالم ، وعلى المكانة التي وصلت اليها جالياتنا في شتى المهاجر .

اما ضرورة ارتباط لبنان بميثاق هيئة الامم فامر غير مختلف عليه ، لاننا نريد ان نكون عضواً صالحاً في مجموعة الدول ونؤدي قسطنا – ولو متواضعاً – في تحقيق السلام العالمي . وقد سبق ان قلنا ان البلدان لا تقاس بمساحة اراضيها بل بارتفاع مستوى ثقافتها واشعاع مبادئها السليمة وتفكيرها النيّر .

وما اشتراكنا في المؤتمرات المنبثقة عن هذه الهيئة الا الدليل الساطع على المكانة العالية التي احتلها لبنان والتي تتناسب مع ماضيه المجيد وتفتح له ابواب المستقبل متلألئة النور على مصاريعها . واكبر دليل على ما اقول هو المؤتمر الثقافي العربي الاول وسائر المؤتمرات الثقافية وذلك الاجتماع التاريخي لمؤتمر الاونيسكو في العاصمة اللبنانية حيث تجلى الاشعاع اللبناني باجلى معانيه .

ولبنان ايها السادة حريص بحجة اولى على دوام علاقات المودة واواصر الاخوة بينه وبين اخواته الدول العربية يستمسك بميثاقها نصاً وروحاً ، غيور على ان تتوثق وتتمتن في ايام نحن احوج ما نكون فيها الى هذا التضامن الصحيح لنتقي اخطار العنصر الجديد الذي دخل على الشرق الاوسط بالظروف التي تعلمون .

ان لبنان الذي قام بقسطه الوافر في سبيل فلسطين الشهيدة لهو على استعداد دائم للقيام بواجبه الاتم في هذا السبيل نفسه .

وعلى الدول العربية مهما كثرت المصاعب وطالت المحن ان تواجه المعضلة برباطة الجأش وثبات العزيمة ، وان لا تستسلم الى القنوط بل ان تزيد تضامناً وتكاتفاً لتصل الى اهدافها وهي بالغة اياها بعونه تعالى . وسيكون لبنان في مقدمة من يسعون الى توحيد الكلمة وجمع الصفوف اميناً على رسالته في كل حال .

اما توجيهنا في الحقل الداخلي فهو بادىء ذي بدء اعلان حقيقة . فمن الغلو ان ندّعي بلوغنا فيه درجة الكمال ، كما انه من المكابرة في الحق ان ننكر ما حصل من اصلاح وما تحقق من مشاريع وما اعتزمنا تعزيزه واكماله من انشاء وتعمير ، غير ان ما يطلبه الناس عامة هو الوصول الى الحق المشروع بدون وساطة ، والتدرج في سلك الوظائف دون شفاعة ، وعدم تأخير المعاملات ، وبكلمة موجزة هو تنفيذ القانون على الجميع .

ان الميراث الذي اثقلت الادارة به منذ عهد بعيد ، والعادات التي تأصلت في النفوس ، والمراجعات التي تحصل بحكم الاستمرار حتى عند عدم ضرورتها ، كل ذلك تصعب مداواته بوقت قصير ، غير انني على اعتقاد ثابت بأن التضحية هي اساس الاصلاح

في هذه الناحية من الادارة ، وان على اصحاب المقامات في هذه البلاد سواء أكانوا في المراكز الرسمية او خارجها ان يعطوا المثل الصالح وان يساعدوني في هذا السبيل .

اما مفاهيم الاصلاح فانها ، مهما تباينت بتباين النزعات ، لا تقف حاجزاً في سبيل بلوغنا الحقيقة وموطن الداء لنحمل اليه الدواء مهما كان مراً ، والعلاج مهما كان صارماً .

واذ اختم كلمتي هذه اطلب من الله عز وجل ان يسبغ على لبنان ثوب الامن والطمأنينة والرفاه وان يجنبه الويلات وان يبعد عنه الشرور وان يوحد قلوب اللبنانيين نحو المثل العليا والاهداف الشريفة ليبقى هذا الوطن اللبناني على صغر مساحته وقلة عدد سكانه بلد الحرية والتساهل والتسامح ، بلد الثقافة والنور والاشعاع والانسانية الحقة .

عاش لبنان !

٢١ ايلول ١٩٤٩ بشاره خليل الخوري

رسالة قاعة العمود

وجه فخامته الى الشعب اللبناني هذه الرسالة الكبرى بمناسبة تجديد ولايته ، وخير ما يقال فيها كلمة بولس الرسول : لو كنت انطق بألسنة النـاس والملائكة ولم تكن فيّ المحبة فانما انا نحاس يطنّ وصنج يرنّ .

اخواني وابنائي اللبنانيين الاعزاء ،

احمد الله لنعمة اولانيها منـذ تسلمت بثقتكم الغاليـة مقدرات البلاد في مثل هـذا اليوم من عام ١٩٤٣ . احمده عز وجل حمداً جزيلاً لانكم وطدتم ولايتي الاولى بالعقيدة والايمان وحصنتم عهدكم الجديد بسياج من العزيمة ، فكأن الساعة اذنت لنلتقي على هـذا المفترق التاريخي فنتفاهم معاً على تحويل عام في السياسة اللبنانية واعلن بدوري ميثاق الامة الخالد وانتم عنه راضون ، فما كنت في هذا كله الا صدى تمنياتكم الكامنة في طيات التاريخ ، وتجسيم امانيكم الغاليـة المستقرة في مرهف الاحساس . فجابهت التبعات ، واندفعت في خدمة لبنان بكل ما اوتيت من قوة وبكل ما اذخرت من خبرة وبكل ما عمر به قلبي مـن حب عميق تغلغل في حنايا الضلوع لهذا البلد وشعبه النبيل منـذ تفتحت عيناي على وجوده وتفقه عقلي بضرورة خلوده وفؤادي بالمتدفق مـن جماله واشعاعه .

اتكلت على الله واعتمدت عليكم وعلى نخبة من خيرة من انجب هذا الوطن مكانة ووطنية واخلاصاً ، واقدمنا على تغيير التوجيه السياسي القديم ورسمنا خطة للسير وللوصول بالبلاد الى غاياتها العظمى والى اهدافها المنشودة ، فحققنا بعونه تعالى ما طالما حلم به الآباء والاجداد ، وما هو خير تراث للاحفاد في الجيل المرتقب .

ايها اللبنانيون ،

هل نسيتم اول وقفة لنا في المجلس النيابي نعلن فيها القضاء المبرم على حياة العزلة والانعزال وننادي بالتعاون الوثيق مع اخواننا وجيراننا ابناء الدول العربية مع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا كاملين غير منقوصين ، فكان بذلك الميثاق الجديد للبنان الجديد ، ذلك الميثاق الذي تقبله اللبنانيون مبتهجين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ونزعاتهم وميولهم ، فكان لهم سنّة مقدسة ودستوراً مختاراً واساساً ثابتاً قويماً بنوا فوقه صرحهم العالي العماد الواسع الرحاب المترامي الارجاء ، فاشرق وجه لبنان اي اشراق ولا يزال ، وعلا نجمه ولما يغب . ذلك كان البعث للمجد الدفين .

هل نسيتم تلك الرياح المؤاتية التي ارسلها ربكم بشراً وعدلاً وحقاً بين يدي رحمته ، فكانت تلك العاصفة الهوجاء يوم الاعتقال ، وكانت ذلك النسيم البليل العليل يوم الاستقلال ، وبين هذين اليومين ثورتكم وضحاياكم والدم المهراق الذي سقى الارض رياً وزرعها زرعاً مقدساً كريماً .

هل نسيتم غسقاً نزلنا فيه واياكم الى سراي الحكم بعد ان عاد الى نصابه ، غسقاً كان احر نوراً من النهار الوضاح وأحدّ من

الفجر املأ رضياء ؟

هل نسيتم تسلم الصلاحيات وما استتبعه تحقيق الاستقلال من توطيد السيادة الوطنية ؟

هل نسيتم ، وكيف تنسون ، ما هو ماثل للعيان وحاضر في الضمائر من تبادل التمثيل السياسي مع الدول الاجنبية وانضمام لبنان الى ميثاق الجامعة العربية والى شرعة الامم المتحدة وما كان لممثليكم في الخارج من شأن وكيف استقبلهم المغتربون والدموع منهمرة فرحاً والازهار منتثرة ترحاباً واحتفاء والعلم اللبناني مرتفع تحت كل سماء يخفق ارزه الاخضر في كل افق .

انسيتم يوم استلمنا جيشنا الباسل كامل العدد والعُدد فخوراً بان يعود الى احضان الوطن ليخدم لبنان بعيداً عن كل تأثير او سياسة ؟

او هل نسيتم مفاوضات الجلاء ، والجلاء ، ووقوفنا نجدد ايماننا بلبنان امام صخرة النهر التاريخي حيث مر الفاتحون منذ فجر التاريخ لبعض سنوات خلت ، مروا وبقي لبنان راسخاً خالداً .

او هل نسيتم اشتراك لبنان في المؤتمرات الدولية ، سياسية كانت او ثقافية ، واي مبلغ بلغتم من المكانة وعلو الشأن ؟ وهذا مؤتمر الثقافة العربية ومؤتمر الاونسكو الذي لا يزال يتردد صداه في ارجاء العالم يوم وقف مندوبو الامم وقفة رجل واحد يحيون ثقافتكم ويهتفون لها هتافاً طويلاً .

ايها اللبنانيون ،

لا ارى نفسي مضطراً ان اعيد على مسامعكم بعض ما تم من

عمران ترافقه بحبوحة في العيش حزتم عليها نعمة من ربكم ، ولا أن أذكركم بما احدثته ايديكم من ري احييتم به موات الارض او زرع جاء باطايب الاثمار او طرق شقت فعبدت وفتحت مصايف جديدة للمرتادين ، او بمصحات ومستشفيات اقمتموها لمداواة الاجسام وتحسين الصحة العامة ، او بنقد ثبتموه رغم المصاعب فضمن استقرار الاقتصاد وفسح للحكومة المجال والوقت اللازم لتثبيت تغطية ذلك النقد بشكل يؤمن المستقبل الى امد بعيد .

لا اذكركم بذلك رغم اعتقادي ان لهذه الناحية من الحياة اهميتها الملموسة لانتقل بكم الى ذكر تلك القيم الروحية التي هي ارفع من المادة لانها ميزان الامة وعنصرها الدائم حتى ولو تضاءلت المادة الى درجة الكفاف .

وبهذا الدافع وسعت حكومتكم نطاق التعليم والتخصص وحافظت على القديم من الآثار وجددت ما درس من معالمها وخصيصاً قصر بيت الدين لاحياء تلك التحفة التاريخية فأعادت اليه رفات اميره وبانيه بين صدى اهازيج الماضي القريب وامل المستقبل المرجى ، وابو سعدى — الامير بشير — يرقد اليوم في جنات القصر رقاده الاخير على هدير مياه الصفا وحفيف الباسق من الاشجار ، فهي مثواه الى الابد .

وها انا اوجه اليكم اليوم رسالتي هذه من جوار قاعة العمود التي كساها الامير في حياته مهابة وجلالاً ، والتي ما يزال يرفرف عليها خياله بعد وفاته منهضاً همم اللبنانيين للاعمال المجيدة ، ومن جوار تلك القاعة الثانية التي انعقد فيها مجلس الادارة في عهد المتصرفية السنين الطوال وقد نقشت على جدارها آية محاها الزمان

الا من حافظة القليلين وانا منهم، وهذه هي الآية : « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » ، نقشت لتكون شعار وحدة وتفاهم بين ممثلي جبل لبنان المختلفي المذاهب بحكم النظام الاساسي .

اوجه اليكم هذه الرسالة واقول معلقاً على تلك الآية : خير لكم ايها اللبنانيون اذا خلقتم شيعاً مختلفة فوحدتم انفسكم في الحق والمحبة من ان تكونوا خلقتم امة واحدة فتفرقتم في الباطل والغي والضلال ، خير لكم ذلك من بعد ما جعلتم الميثاق الوطني شعاركم ، الا وهو تضامن الجهود للمحافظة على استقلال لبنان وعلى الوئام والوفاق فيما بينكم وعلى السلام يحييكم وعلى رفع القيم الروحية فوق كل نعرة طائفية اذ اصبحت اعيادكم الدينية في هذا العهد اعياداً وطنية تشتركون في احيائها مبتهجين على السواء .

ومن هذا القصر التاريخي اوجه اليكم شكري الذي لا يعبر عنه بكلام على تجديد الولاية لي واؤكد لكم انني لم تأخذني يوماً نشوة المنصب السامي لانني متمثل في كل حين عظيم المسؤولية الملقاة على عاتقي .

واريد ان اصارحكم اليوم ببعض الحقائق كي يسودنا التفاهم في بدء هذه الولاية الثانية وابعد عن افكاركم بعض الهواجس واعلن لكم خطتي في معالجة الحال ، وهذا حق لكم عليّ بعد تبادل الحب والثقة فيما بيننا .

اريد ان ابتعد قليلاً عن المراسيم المعتادة وعن الخطة المألوفة لاكلمكم قلباً الى قلب . ان عهد الولاية الاولى كان عهد التأسيس والترسيخ ، عهداً دقيقاً للغاية احاطت به المخاطر من كل جانب واستنفدت المصاعب الاوفر من اوقات الحاكمين وجهودهم ، والمستقبل

بيد الله ، غير اننا نـــأمل ان يكون عهدنا الجديد عهد راحة وامن وطمـأنينة ، عهد تعمير وانشاء ، عهـد اصلاح حقيقي عميق ومجهود داخلي متين تتكاتف فيه الايدي للاقدام على العمل الصالح ليصبح لبنان دولة جديرة ان تذكر اعمالها بالتقدير وان يضرب به المثل ويصلح قدوة للمقتدين .

اخواني وابنائي اللبنانيين ،

اعلم تمام العـلم تقديسكم لحرية العقيدة ، وثقوا ان حكومتكم تشاركـكم هذا الشعور ، واؤكد لكم ان احداً لم يضايَق ولم يلاحَق بسبب عقيدته — حتى عندما بلغت هذه العقيدة منطقة الخطر وتجاوزته احياناً — ولم يبرز القانون الجزائي الى الميدان الا عندما نزلت العقيدة الى الشارع تصلي ثورة سالت فيها دماء الابرياء من رجال الامن وتهدد البلاد بشر مستطير لا يعرف مداه الا الله. ولنا اليقين الجازم بان ما قمنا به كان يمليه علينا الواجب الوطني المقدس ، وان ما تحملناه من المسؤوليات في سبيل المحافظة على الكيان الوطني ترك في نفوس الحاكمين المآ مريراً .

اعلم تمام العـلم انكم تقدسون حرية الرأي والتعبير عنـه ، وقد احتملنا كثيراً وصبرنا كثيراً على اقسى الانتقاد واشد التعنيف ، ولم نطبق احكام القانون الا عندما تعدت الحرية حدودها القصوى الى الاباحة ومست كيان الوطن واسس الميثاق ، وكم تغاضينا عن اساءة ابتغاء للخير والسلام .

واعلم تمام العلم ما هي الادواء التي تشتكون منها لانني عارف بمواطن الضعف والقصور ، وما تنكرت للحقيقة يومـاً ولا كابرت

في الحق ولا ادعيت كمالاً في ادارتكم ودوائركم ، ولكن الا يحمل كل منا قسطه من المسؤولية في هذا الصدد ؟ فالطائفية والحزبية والغرضية والمحسوبية ليست من مواليد هذا العهد . انها قديمة الرسوخ متأصلة في النفوس وما استئصالها بالامر اليسير ولا بالسريع المنال ، وسوف لا نصل الى نتيجة حاسمة الا اذا فرض كل منا التضحية على نفسه حاكماً او غير حاكم ، وحينئذ يكون السلطان للقانون وللقانون وحده .

هذه هي بعض الادواء التي يجب معالجتها وسوف نعالجها بشدة وحزم ، وما سوى ذلك فهو ثانوي في نظرنا ، فالرئاسات تزول ، والمجالس والوزارات تتغير فيها الوجوه ، ومراد النفوس احقر من ان نتعادى فيه . ونحن بغرسنا في قلوب اللبنانيين احترام القانون والرضوخ لاحكامه مهما كانت صارمة في بعض الاحايين ، وبجعلنا الادارات العامة لا تحابي بالحق ولا تستسلم للاستثناء بل تجعل القاعدة سائرة على الجميع ، وبترسيخنا في عقول الموظفين انهم وجدوا لخدمة الناس واجباً عليهم لا منة وكرماً ، نكون قد اتممنا رسالتنا من هذه الناحية واعددنا حكماً صالحاً وجيلاً صالحاً .

واذا كان لي ما اوصيكم به ايها اللبنانيون في ختام هذه الرسالة فهو ان يفهم بعضكم بعضاً ، وان يخدم بعضكم بعضاً ، وان يتسامح بعضكم مع بعض ، وان تنبذوا البغضاء والشحناء ، وان تقدروا احترام ارتباطات لبنان الدولية وحرمة الجار وقدسية الجوار ، وان تنظروا الى العالم الغربي والى العالم الشرقي نظر الرجل الحكيم الذي يريد ان يكون اداة وصل وتعارف وخير . وثقوا ان اخوانكم العرب هم ابرّ بكم واقرب اليكم ، مددتم لهم يداً

فمدوا لكم يداً دون تبطين غاية ولا اضمار شر .

اما انا فقد ابلغتني ثقتكم الغالية الذروة العليا، فاكرر لكم جزيل شكري واؤكد لكم ان افتخاري بثقتكم لا يعادله الا احساسي بالعبء الثقيل الملقى علي ، وبالآمال الجسام المعقودة على هذه الولاية الثانية . فساعدوني وعاونوني وآزروني على القيام بالواجب وانا لكم جميعاً كما تعلمون ، لا احمل حقداً او ضغينة ولا يأخذني الصلف ولا تستهويني الكبرياء ، وقد بلغت من السن مـــا يمنع عليّ تغيير خطة درجت عليها طبعاً لا تطبعاً ، وصدقاً لا رياء ، وسليقة لا تصنعاً . واني لأرى في الحكم رفقاً وحناناً وعطفاً وابوة، وقد طالما رأيتموني اكثر التجوال فيما بينكم ومـــا ذلك الا لاقف على رغائبكم وحاجاتكم على غير علم منكم ، وخصوصاً لاطبع في قلبي صورة لبنان الخالد وصورة اخواني وابنائي اللبنانيين ، حتى اذا مثلت امام منبر الديان الرهيب يشفع بي لديه ، عز وجل ، فرط حـــبي لكم واخلاصي لواجبات رئاستي فيكم وتفانيّ في سبيل لبنان .

عاش لبنان !

٢١ ايلول ١٩٤٩

الخالدون لكم

لفخامته كلمات عديدة في سبيل الجيش اخترنا منها هذه الكلمة الطيبة التي القاها في حفلة الاثر التذكاري للجنود الذين سقطوا في ساحة الشرف .

ايها الضباط والجنود البواسل ،

خطأ يعتبر بعض الناس ان صلة الاحياء بالاموات تنقطع يوم يوارون الثرى وينزلون فجوات القبور جيرة لا يتزاورون ولا يتقاربون . والحقيقة ان من غابوا عنا دائمو العلاقة والاتصال بنا ، فكم ناجينا ميتاً وكم استلهمناه ، لا بل كم استنجدناه في الظرف العصيب والخطب النازل ، والامة هي ذاتها حية بقدر ما تقرب موتاها اليها ، وتجعل حرمتهم ديناً لها ودِيناً عليها ، وتستوحيهم اعمالاً مجيدة ، خصوصاً من استشهد منهم في سبيل المثل العليا ، وهل هناك مثل اعلى من التضحية الكاملة : بذل الحياة في سبيل الوطن وكيانه وسلامته وعزه ومجده ؟

هؤلاء هم رفاقكم في الجندية ارتحلوا عن هذا العالم مرتدين حلة الشهادة المجيدة ، هؤلاء هم الألى اردنا ان تخلد ذكراهم في قلوبكم وقلوبنا تمثالاً حياً ناطقاً بجميل المواعظ واجلى آيات البطولة ، موحياً للشعب اللبناني الكريم اسمى معاني الحياة وارفع امثولات المهمات .

ايها الضباط والجنود البواسل ،

ضعوا امام اعينكم وضعوا في نفوسكم ذكرى رفاق لكم غابت اجسامهم وحضرت ارواحهم مرفرفة حولكم . وانتم ايها الراحلون الكرام ثقوا ان لبنان لن ينساكم . املوا علينا تلك الوصايا التي تأخذ من جلال الموت قيماً لا تغالى ، ومن هدوء الآخرة والخلود وزناً لا يوازى ، وارقدوا بامان اذ وفيتم قسطكم الوافر في الذود عن حياض الوطن وساهمتم في علو شأنه .

سكب الله عليكم شآبيب الرحمة والرضوان ، ونفعنا بما قمتم به من مجيد الافعال وطيب الاعمال ، وخلد ذكركم في قلوب رفاقكم وقلوب اللبنانيين اجمعين .

٦ ايار ١٩٤٩

الحر كثير باخيه

لا يهمل فخامة الرئيس اصغر الواجبات ، فكيف به حين يفكر بهذا الواجب الخطير ! اذاع هذا النداء الحار يدعو جميع اللبنانيين من رجال دنيا ودين الى نجدة اخوانهم منكوبي فلسطين الجريح .

ايها اللبنانيون ،

من حقكم ان تكونوا قلقين حذرين ساهرين ، وانما لا يحق لكم ان تكونوا قانطين ولا ظالمين انفسكم والمسؤولين فيكم وعند اخوانكم وجيرانكم ، فالظروف الحاضرة ان هي قضت بامر عليكم فبرباطة الجأش والصبر وطول الاناة وغل النفس عن الشغب والاخلاد الى السكينة لتفسحوا المجال امام حكومتكم لتتصرف بملء تفكيرها وقواها الى الذود عن فلسطين والوقوف مع اخوانها في وجه تيار الجشع الصهيوني في ارض كانت وما زالت ولن تزال بحول الله ملكاً مشروعـــاً للعرب دون سواهم ، وان تساعدوا السلطات على استقبال اللاجئين من اخواننـا الفلسطينيين ، وتأمين المآوي والاعاشة والكساء لهم . فافتحوا لهم قلوبكم وبيوتكم ومعابدكم ومدارسكم واديرتكم واوقافكم ، وليكونوا بيننـا اصحاب دار وانتم فيها ضيوف . ولا تضنوا ببذل المال في سبيل راحتهم والترفيه عنهم ، لان الاخ لاخيه في ايام المحنة والشدائد .

والله عز وجل كتب للمحسنين جزاء ما فعلت ايديهم من خير لخلقه وعياله .

ان التجربة قاسية وعليكم بثقة في النفس تقاس بهول ما حدث . فالدول العربية التي انكلت حتى الآن على حقها الصراح وعلى المواثيق جنحت اليوم الى الاتكال على الله وعلى نفسها ، فقد حان الاوان لتسير القوة في ركاب الحق . وسيرى الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

اما نحن فكما عرفتم وخبرتم فلا تنام لنا عين ولا يهدأ لنا بال حتى تطلع علينا المقررات الحاسمة من الهيئة السياسية لجامعة الدول العربية التي تصل الليل بالنهار عملاً لتخرج من هذه الازمة العارضة والعرب مجهزون باحدث السلاح وافتك العتاد مرفوعو الرؤوس كبار الانفس .

عاشت فلسطين عربية .

عاش لبنان !

٢٥ نيسان ١٩٤٨

غار تشرين

انا بحق نسمي هذه الكلمة «غار تشرين» ، فلولا تلك المحنة لما وقفنا على ارجلنا وماشينا امم الارض وشعوبها .

اصبح الثاني والعشرون من تشرين الثاني يوماً تاريخياً يحتفل به لبنان في كل عام ، وهذه هي الذكرى السادسة لذلك اليوم الذي جنى فيه اللبنانيون ثمرة التكتل في صفوفهم ، والتضامن لنيل اهدافهم ، فما تأخذهم فيه نشوة الابتهاج بعودة رئيسهم واعضاء حكومتهم الشرعية من المعتقل فحسب ، بل باسترجاع حقهم ، وتحرر وطنهم ، وفوز قضيتهم ، وبجعل دستورهم حراً لا يطاله قيد ، ولا يقوم عليه رقيب .

هذه هي ذكرى تشرين من عام ١٩٤٣ في نظر اللبنانيين ، وتلك كانت طريقها الشائكة امامهم ، حفتها المصاعب والمخاطر ، وغمرتها ازمة دستورية عنيفة كان لا مندوحة عن مجابهتها وتفريجها ، مهما غلا الثمن ، وعزت التضحية ، فاذا بين دار الحكم وندوة البرلمان صيحة منسجمة مدوية بطلب الحق والذود عنه ، واذا بين الشعب وقادته تفاهم وثيق على صون الكرامة ، ودفع المكروه ، واذا لبنان كله روح واعية تجيش بالعزيمة ، وصدر ثائر يتفجر بالسخاء ، وجندي مؤمن لا تروعه قوة ، ولا يثنيه وعيد ، ولا يحسب اي حساب للنفي والسجن .

لقد ضفر اللبنانيون في الثـــاني والعشرين من تشرين اكليلاً زينوا به جباههم ، وصاغوا من شمسه انواراً رصعوا بها صدورهم ، وعانقوا ضحاياهم العزيزة التي تساقطت في ساحات النضال الوطني ، فاستمدوا من روحها زاداً ، ومن رفدتها يقظة ، ومن ثراها حياة ، ومشوا حريصين على نعمة الاستقلال ، مؤمنين برسالته ، حاملين الى اطراف المعمور ما تزخر به حنايا هذا الجبل مـن تراث عظيم ، وتاريخ كريم .

انني وقد اسعدت في عمري بان ارافق اخواني وابنائي اللبنانيين في خوض معركة الاستقـلال ، وبان اكون مع نخبة من مجاهديهم واحرارهم ، رمزاً لالمهم وصبرهم وفوزهم في تلك المعركة ، لابتهل اليه ، عز وجل ، بان يرعاهم ، ويحقق امانيهم الغالية ، وارسل اليهم جميعاً كشهداء واحياء اخلص تحية واصدق دعاء .

ايها اللبنانيون ،

للمرة السادسة في عهـــد الاستقلال تطل عليكم ذكرى تشرين فتستقبلونهـا بغبطة وعزة ، لانها عيد ثورتكم ورمز اخلاصكم للبنان ودستوره وميثاقه الوطني .

فهنيئاً لكم ، وانتم تذكرون الثاني والعشرين من تشرين ، ان تذكروا يوماً تركتم فيه لفحاً من نفوسكم ، ووهجاً من عيونكم ، وقطعاً مـن اعماركم واكبادكم ، يوماً تألقت فيه جباهكم بالفخر والعنفوان ، وجنيتم من واحته ثمار الوحدة في صفوفكم واهدافكم ، وجعلتم من فجره عنواناً لسفر النضال الوطني الذي كتبتموه بذوب المهج ، فما هـذا اليوم التاريخي ملك للرئيس ولا لرفاق له غيبتهم

عنكم الى حين محنة نازلة زائلة ، بقدر ما هو ملك للبنان اذ استنفركم الى دفع المحنة فلبيتموه ، وللحرية وقد اغلت مهرها فبذلتموه ، وللدستور وقد حللتم وثاقه ، وحنوتم عليه وصنتموه ذخراً غالياً عزيزاً .

ايها اللبنانيون ،

ذلك ما فعلتموه في يوم تشرين بل في معظم ايامه ، فلقد زخرت الايام منه والليالي بذكريات بنضال كريم انضويتم تحت علمه ، وتألبتم فيه طائفة واحدة شدتها المحن ووثقت بينها الاماني واعانها ربها فكافأ جهادها بفوز مبين . فاذ اخاطبكم الليلة قلباً لقلب وروحاً لروح يطيب لي ان يحمل الاثير تحيتي ومحبتي الى كل من اخواني وابنائي اللبنانيين ، كبيراً كان ام صغيراً ، ساحلياً ام جبلياً ، مقيماً ام مغترباً ، يهزه الشعور النبيل بيوم هدأ فيه الروع اللبناني ، وتفككت حلقات الحديد . عنت الحوادث وكانت قد تشابكت ، واسعف بعضها بعضاً على منع لبنان من استكمال عدة الاستقلال ونبذ حياة العزلة والتواكل واكمال طريقه في تحقيق السيادة الكاملة واداء رسالته الى جانب الاسرة الدولية لخدمة الفكر والحضارة وبناء العالم الجديد في ظل عدل انساني شامل .

ايها اللبنانيون ،

ان يوم تشرين هو فوزكم بجني ما اسلفتموه من ارواح شهدائكم ، ويوم فوز الحق في صراع القوي والضعيف ، ويوم تمجيد وحدتكم الوطنية التي طالما حلم بها الآباء والاجداد فحققتموها وكنتم اكرم

الابناء وابرّ الاحفاد .

تلك هي المعاني التي احييها في ذكرى نشرين من عام ١٩٤٣ . معانٍ يذوب فيها الاشخاص والاعمار وتبقى خالدة ويبقى التذكار ، ويبقى لبنان .

عاش لبنان !

٢٢ نشرين الثاني ١٩٤٩

الشجرة اللبنانية

فخامة الرئيس ، وهو اللبناني القح ، يشارك في كل احتفال يرجى منه الخير لبلده . فمن عيد الزهور الى مهرجان الليمون الى عيد الشجرة اللبنانية التي بني على جذوعها وفروعها مجد لبنان . وهذه فقرات مما قاله في تلك الاحتفالات :

لبنان والشجرة رفيقا صبا وشريكا جهاد .

فسح لبنان صدره وسفوحه ، منذ فجر التاريخ ، للاشجار الطيبة الحلوة السخية ، فكست بخضرتها جنباته ، وظللت قممه ، ووهبته كنوزاً من الثروة والدفء والعمران .

فجاهد لبنان في وجه الطبيعة وعواملها الهدامة ، وفي وجه الطغيان . فكانت الشجرة عدة هذه البلاد في الشدائد ، واملها في الاوقات العصيبة ، وساعدها في النضال .

ولبنان وفيّ يحفظ الجميل ، ويجزي الاحسان بالاحسان . وقد جعل الشجرة رمزاً قدسه في علمه ، وشعاراً يفتديه بالارواح .

تلك هي الشجرة عندنا منذ اقدم العصور : جمال خالد ، وثروة فياضة ، ورمز مفدّى ، وما برحت الشجرة كذلك في لبنان الذي يحرص على تقاليده ، ويتمسك بماضيه ، ويثق بحاضره ، ويؤمن بغده ايمانه بالله وبالعدالة والحق والحرية .

فلا عجب اذا احتفل لبنان في كل عام هذا الاحتفال الشعبي ،

ابتهاجاً بغرس الاشجار الفتية في سهوله وجباله ومدنه وقراه . فانما لبنان موطن الجمال ، ومعقل الحرية ، ومعدن الوفاء .

انني اذ اغرس هذه الشجرة الثـــانية في هذا اليوم السعيد ، لأجد سعادة داخلية ارجو ان يشعر بها كل لبناني مثلي .

لتكن هذه الشجرة مباركة وليكتنف ظلها ابناء لبنان موحدي الايمان ، موحدي الصفوف .

٢ كانون الاول ١٩٤٤

اني لمغتبط بان ألبي دعوة جمعية اصدقاء الاشجار الى الاحتفال بيومها السنوي الذي اقترنت صفحته بتاريخنا الوطني ، وبان اضع في بقعة ما من بقاع الارض اللبنانية غرسة جديدة هي احدى آلاف الاغراس التي يحملها اليوم اللبنانيون هدية الى هذه الارض المباركة التي وشتها من قبل ايدي آبائهم واجدادهم . فلنحرص على هذا التراث الثمين ولنتعهده بحب ووفاء ، لان بين ذراته آثاراً مقدسة لاسلافنا الصالحين ، ولان الارزة قد غزت باسمه مجاهل التاريخ القاصية فركزت عرشها في قصر سليمان ، وانطلقت من موانئنا مجاذيف ضاقت بمراميها جوانب المتوسط .

٧ كانون الاول ١٩٤٧

على الشواطىء اللبنانية نشأ قوم احبوا الشجرة حباً عريقاً ، واستدروا خيراتها ، وبسطوا اشرعتهم عليها فوق البحار ، وعلى الجبال اللبنانية عمرت ادواح تزداد مع تقادم الزمن رسوخاً واخضراراً ، وما درسته الاعصر من آثارها في قصور الملوك ، وهياكل الانبياء ،

خالد في جبل الارز ، والدفة التي تعهدت نشر الحضارة في حقبة من التاريخ هي التي يحتفل بها اللبنـــانيون اليوم بذراً وغرساً على ايدي صغارهم وكبارهم في كل قمة ومنحدر من وطنهم لبنان .

٤ كانون الاول ١٩٤٨

جدير بكم ، وايم الحق ، يا سكان هذا الوادي الاخضر والشاطىء الفضي ، ان تقيموا للربيع عيداً [١] ، وللزرع مهرجاناً ، وللصنع عرضاً ، وللتاريخ استعراضاً .

اما الربيع فيتجلى بابهى مظاهره واروع مناظره في مثل هذه الايام ، وفي مثل هذه الارض .

اما الزراعة فترتع بالموطن الخصب ، والمـــاء المدفاق ، والهواء النقي ، والعمل المثمر ، اذ مزجتم بري النهر ري الجبين والاذرع ، فعاهدتم التربة الصادقة وعاهدتكم ، والارض ليست بكذوب ، فانها تعطي الكيل اكيالاً ، وليست بعقوق ، فالحبة التي فيها تموت ، تحيا اضعافاً مضاعفة ، فتعطيكم ثمارها ، بهجة للعيون ، ورحيقاً للفم ، وقوتاً للاجساد .

فحافظوا ، حافظوا على التراث . وثقتي انكم كلما انحنيتم على هذا الوادي الجميل ، فانكم لا ترون الارض فحسب ، بل جنة الله في ارض لبنان .

٢٣ نيسان ١٩٥٠

١ عيد الليمون في انطلياس .

يا اطفال لبنان

هذه كلمة عذبة وجهها فخامته الى الدنيا جمعاء في شخص اللبنانيين واطفالهم، وفيها يدعو الى خلق عالم جديد .

ايها اللبنانيون ، يا مواطني الاعزاء ، يا اخواني ويا ابنائي ،

يطيب لي في هذه الليلة المباركة ، الحافلة منذ قرون بحدث عظيم في تاريخ النصرانية والعالم ، الزاخرة باجمل صور الانسانية الوادعة البريئة المضحية ، الجاءلة من صخور المشرق مقام تقديس على مر العصور ، ان اخاطبكم جميعاً وان احمّل الاجواء اليكم ، في لبنان وعبر ارضه وسمائه ، تهنئة ينطلق معها دعاء حار ، بان تشمل لفيفكم كله نعمة العيد ، وبان تكون الغبطة ، والطمأنينة ، والصحة ، والبحبوحة ، ريانة فوق سقوفكم ، دافقة على حقولكم ، وعلى جميع مرافقكم ، وفي كل زاوية وناحية من وطننا الغالي لبنان .

ويطيب لي ، ونحن نتطلع بخشوع الى بيت لحم ، حيث شع نور السلام والمحبة في اول عهد الانسان بها ، وحيث نشأ المعلم الالهي وتألم وعلّم ، ان اسأل لتلك الارض المباركة حباً وسلماً ، مستمدين من المبادىء السماوية ، التي فاضت انوارها في تلك الربوع .

ان العالم يرهف الليلة أسماعه ، من بعيد الدنيا ومن قريبها ، الى اصداء اجراس تتصاعد من جوانب الكرمل مبشرة بالرفق ، داعية

الى العدل ، مدوية بخلود تعاليم الناصري ، فحري بهذا العالم ، وهو راغب بعد مجزرته الكبرى في حياة السلامة والحق والنظام ، ان ينبذ الضغائن والاحقاد ، وان يستوحي المبادىء السامية التي تركها رسل السماء في العهد القديم دستوراً للعهد الجديد ، وان يعطي كل ذي حق حقه ، فلا ظالم ومظلوم ، ولا قوي وضعيف ، ولا غاصب ، ولا فريسة ، بل بشرية سعيدة ، وبشر آمن ، له وطنه وبيته في هذه الحياة الدنيا ، وله ربه في الآخرة .

فلنسع الى خلق عالم جديد على اساس مثل عليا مستمدة من تعاليم السماء ، ولنساهم نحن معشر اللبنانيين في انشاء ذلك العالم السعيد ، ولنستمد من حرارة ايماننا بالله والوطن قوة للبناء والانشاء . على هذا الامل والعهد طابت ليلتكم يا اطفال لبنان ، وطاب صبحكم ايها اللبنانيون .

٢٤ كانون الاول ١٩٤٦

المحبة أقوى من الموت

هذه خطبة الرئيس العالمية التي افتتح بها مؤتمر الاونسكو المنعقد في لبنان عام ١٩٤٨ ، جعلنا ختامها عنواناً لها، وقد وفيناها بعض حقها في مقدمة الكتاب ، فليت لي محبة الرئيس لادل مثله دول العالم على معالم طريق الصلاح ، وهي تنحصر في المحبة ، فالله محبة هو ، والبغض عقم أي عقم .

ايها السادة المندوبون ،

يسعدني ان ارحب بكم ترحيباً صادقاً جميلاً اذكر بمناسبته قول الشاعر اللاتيني : « انا انسان وليس بغريب عني كل ما هو انساني . » فباسم لبنان ، الفخور باستقبالكم في ارضه المضيافة ، ارض الحضارات العريقة ، وملتقى ثقافات الشرق والغرب ، اعرب لكم عن اخلص التمنيات لان يخصب نشاطكم ، ولان تكون اعمالكم منارات مشعة على طريق التقدم الفكري والانساني .

وثمة امنية ثانية ، فلقد كان يروقني لو تناسينا معاً ، الى حين ، الهموم الممضة التي تكدر صفاء العالم ، ولكنني عن عمد ادع مثل هذا التمني ، يقيناً مني ان الانسان ، بمعنى البطولة المثالية في اسمه ، وانه في انبل صورة من صوره ، لا يسوغ له باي حال ان يلوي بوجهه عن الصعوبات ، ولا ان يتوارى امام المعضلات ، بل يتوجب عليه ان يقتحمها ، وخاصة عندما يكون متوقفاً على

مجابهتها مصير السلام .

وما تناسي شؤون الساعة بالمطلب الذي يوجه الى امثالكم من الرجال ولا الى ضمائر كضمائركم ، ودوركم ، وانتم بمثلو منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، هو ان تكونوا دوماً في يقظة ، وان تعبّدوا السبل ، وان تساعدوا في بعث القيم الروحية والمعنوية ، وان تجابهوا القوة الهوجاء ، في عالم تدعي هي السيطرة على كل ما فيه ، لدى اقل غفلة من الانسانية عن المبادىء الاساسية التي يجب ان تحيا بها . وكل من يعرض اعمال منظمتكم ، وهي من انبل منظمات العالم طموحاً في تنكرها للسهولة وعدم المبالاة ، يتولاه الحبور ، اذ يرى معظم المفكرين الذين تنسجم دروسهم مع عملكم يؤمنون ايماناً عميقاً بفعالية ما انتم له ساعون ، ويجيبون بـ « نعم » تكاد تكون اجماعية على السؤالين اللذين يعتريان الاذهان المتجهة نحو الخير :

« هل تستطيع منظمة دولية كالاونسكو ، ان تساعد على نمو التربية والعلم والثقافة في العالم ؟

« هل مساهمة اعضائها في فرع من فروع النشاط الفكري ، تبلغ بالعالم مستوى امثل للمعرفة والتفهم ، وتؤدي الى توطيد اليقين بالسلام ؟ »

اننا بدورنا لا نتردد في ان نجيب : « نعم » على كلا السؤالين ، مخصين الثاني منهما بتحفظات آنيّة يمليها الحاضر وحده ، ولا تحول دون اعلاننا بصوت قوي عن ثقتنا بالمستقبل . فمشروع كمشروعكم يهدف الى نشر السلام في النفوس ، ومد رواقه على الشعوب ، لا بد له من عمل طويل الامد لكي يؤاتيه الحظ ، ويحقق ما يريد .

ان العلم ، وهو سلاح ذو حدين ، وإله ذو وجهين ، احدهما للاعمال العمرانية السلمية والثاني للاعمال التدميرية ، قد حسن حياة الانسان تحسيناً بالغاً ، وغيّر وجه البسيطة ، ولكن هل تناول روح الانسان باي تغيير ؟

لا يسعنا ان نجزم بذلك ، ولا بانه بدل من جوهر الانسان ، وحسه وقلبه ، فالافكار السالفة ، والعواطف القديمة ، ما تزال محتفظة بحكمها ، وما تزال المسيرات نفسها صاحبة الامر والنهي في اهم حركات الفرد ، وما برح انسان اليوم يواجه حوادث حياته مواجهة انسان الامس ، ولئن كان من تغيير ، فانه لم يتطرق الا الى طريقة التعبير .

فالحب ، والبغض ، والغضب ، والحسد ، كل هذه الانفعالات التي يتناولها الخلق والدين بتعديل صالح ما تزال هي المسيطرة علينا . والاطماع ، والاحلام الخارقة التي انتابت الشعوب منذ اعرق الازمنة قدماً ، هي نفسها التي تنتابها اليوم ، بحيث يبدو علم الانسان متوقفاً عند تعاليمه البدائية ، بينما تقدمت العلوم الطبيعية والكيمائية بخطوات جبارة الى الامام .

والآلام التي يعانيها الانسان في حياته الاجتماعية ، وجلبة العواطف التي تتنازع ملكوته الذاتي ، بلاسمها لم تتغير . ليست مسطورة في القوانين ، ولا منقوشة على الرخام ، ولكنها مستقرة قبل كل شيء في صميم القواعد المعنوية : في روح العدالة ، في احترام الشخصية الانسانية ، في تقديس القيم السامية التي تشرّف الانسان ، والتي هي ملك خاص اقطعه وحده على هذه الارض .

واذا ما استهين بهذه القواعد في مجتمع ما ، ففي استطاعة

السلطات العامة ، ومن واجبها ، ان تتدخل لقمع الشر الذي لم توفق في استدراكه ، ولكن عندما يغشى الامم نفسها نسيان القواعد التي تفرضها على مواطنيها ، مخالفة ما وضعته هي بذاتها ، مفرقة بين الواجبات المعنوية للفرد وبين الواجبات المعنوية للدولة ، فأين هو ذلك المرجع الانساني الاسمى الذي يلاذ به ، ويستطيع ان يحول دون وقوع الكارثة ؟

تلك هي المعضلة ، المعضلة البارزة للعيان ، وليس بيننا من يسعه ، في الآونة الحاضرة ، المباهاة بانه وجد لها حلاً ، فهي ماثلة امامنا معقدة غامضة .

وما دام الامر كما هو فحسبنا ان نبدي ملاحظات عامة على هذا الموضوع الخطير . اننا نجزم في معزل عن الخطأ بان في صميم كل انسان — ولو بتأثير خشية عاقلة — حباً اكيداً للسلام ، والا فمن هو ذلك الانسان المتزن الكيان الذي يسعى ، على ارادة منه ، الى تعريض نفسه واولاده ووطنه لكوارث الحرب ؟ ومن هو ذلك الذي يشتهي ما يذرف بسببها من دموع ، وما ينتشر من بؤس ، وما يجري من دماء ؟ ولكن المصالح القومية تصطدم ويا للاسف بمصالح من نوعها ، وكذلك اطماع الشعوب تحتك وتبعث في اية لحظة الشرارة التي ينتشر منها الهزيم وتنقض الصاعقة .

وما نشأت المنظمات الدولية الكبرى الا استجابة لنداء شامل ، ولحركة حارة تستهدف السلام ، واذا كان لم يُكتب لمهمتها ظفر دائم ، فما ذلك لانها تفتقر الى قوة دولية قد يطول مدى افتقارها اليها ، بل لان الشعوب لم تتعلم بعد كيف تتعارف تعارفاً كافياً ، وكيف تتبادل التفاهم والمحبة .

واذا نحتم احياناً تنازل متبادل عن بعض مقومات السيادة الوطنية ، فان الاهم من ذلك ان تتجه الشعوب نحو ألفة متزايدة ونحو تعزيز في مبادلات الفكر ، والشعور ، والمادة ، فيما بينها .

وهذا هو ميدانكم ايها السادة ، هذا هو العمل السامي الذي فرضتموه على انفسكم والذي يتطلب جهودكم . ستتعرضون لخيبة في الآمال ، ولغمرة من الآلام ، وفي ذلك لا بد ان يذكر اكثر من واحد منكم قول الانجيل : « اذا فعلتم جميع ما امرتم به فقولوا انا عبيد بطالون . » وكل نشاطكم الفكري والروحي والانساني يمكن ان يصادم القوة يوماً وان يتحطم امام نشاط الذرة الهائج ، وهو على حد الحكمة القديمة القائلة : « آخر حجة الملوك . » فلا تيأسوا ، ولا تهنوا ، وامضوا في سبيلكم ، واثقين من ان ورقتكم جديرة بان تُلعب ، ومن ان حظكم خليق بان يجرب ، لان حظ السلم في العالم يتوقف على نتيجة هذا الرهان .

يقول المثل العربي الحكيم : « الانسان عدو لما جهل . » ونستطيع شرعاً قلب هذا المدلول فنقول : « المعرفة طريق المحبة . » واذا كان يصعب الاخذ اطلاقاً بهذه الحقيقة فمن الثابت على الاقل ان التعارف اولاً شرط مفروض في المحبة .

ان المبادلات المجدية بين الشعوب تؤدي الى هداية الافكار ، والى استثارة القلوب ، والى اثراء العقل بتصورات جديدة ، والى مساعدة الانسان على التحرر من العبوديات المادية . انني اعلم ، ايها السادة ، ان الاونسكو تتعهد تكوين « مواطنين عالميين » ، وهذا مشروع واسع النطاق مترامي الآفاق ، ولكن عملكم يصبح اعمق اثراً ، واقرب منالاً ، اذا استطعتم ان تزيدوا وحيه في نفوس قادة

العالم الذين يحتم عليهم الواجب ان يوسعوا آفاق نظرهم ، فلا يستوقفهم شعب مهما كان كبيراً ، ولا امة مهما كانت عظيمة ، ليشملوا بها عالمنا في كامل حدوده ، وقد تحوّل في نظام المقاييس الجديدة الى رقعة ضيقة صغيرة .

ايها السادة المندوبون ، ثقوا ان على هذه الارض اللبنانية ، التي شهدت امداً طويلاً سير التاريخ في عهديه القديم والحديث ، شعباً يفهمكم ، ويقدر عملكم في كنه قيمه ، وسينمو عنده كل ذلك في هذه الايام الحافلة ، التي سنقضيها معاً ، ولسوف نعرف ههنا كيف نفكر ، ونتأمل ، ونصلي ، ممارساً كل منا طريقته الخاصة بحرية كاملة .

وههنا يعدو عدوه المتصل ، من الغرب الى الشرق ، ومن الشرق الى الغرب ، ذلك المشعل الذي يتوهج فيه الوعي الانساني ، وتنبلج منه عظمة الانسان . ان في وجودكم بيننا مرحلة حاسمة من مراحله ، وسنعمل من جهتنا معكم ، وعن طريقكم ، على ايقاظ اخوّة العصور الكبرى بين الشرق والغرب ، وتوثيق علاقات البلاد العربية وسائر بلدان الشرق الاوسط مع بقية العالم ، وتعزيز المعرفة ، وانماء القوى المعنوية ، واخيراً خدمة الفكر وخدمة السلام . ولبلوغ هذه الاهداف نطلب من جميع الذين يحلمون بانسانية مثلى ، اي من كل منكم ومن الاونسكو بكاملها ، مساعدتنا في مهمتنا ، وايلاءنا الثقة .

وليس لي ان امتدح البلد الذي شرفني برئاسته الاولى ، ولكني استطيع ان اقدمه لكم مستوفياً شروط التربة الخصبة حيث تينع حنطة الزرّاع . ان لبنان هو صديق الحقيقة ، انه تلك

الارض المختارة ، ارض التفاهم والتسامح والحريات . والطوائف العديدة التي يتألف منها تمتاز بسعيها المتواصل لتعزيز التفاهم فيما بينها ، ولان تفي بحقوق بعضها البعض بعدل متبادل ، ولان تتواصل بمحبة صحيحة ، وقد يكون في المثل الذي نجتهد بتقديمه ، قدوة حسنة للمقتدين .

ولكن لبنان ينتظر منكم الدروس الرفيعة التي ستقترن بتاريخ نزولكم في ربوعه وسيضمها الى تاريخنا . فانتم ايها السادة تقومون بعمل انساني في ارض الانسانية ووطن العذوبة . ونحن نردد معكم خلال شهر الاونسكو :

« اعرف نفسك بنفسك . »

« المرء يضيق بكل شيء الا بالمعرفة . »

« لو كنت انطق بألسنة الناس والملائكة ولم تكن فيّ المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن . »

« ان البغض عقم . »

« الحياة الحقيقية ينبوعها الروح . »

« المحبة اقوى من الموت . »

١٧ تشرين الثاني ١٩٤٨

عودة الأمير

رأت حكمة الرئيس العظيم ان تستقدم رفات الامير الشهابي الكبير، فكان ذلك . وها هو يرحب بالشخصية اللبنانية الفذة وينزلها اعز المنازل ، فبيت الرجل جنته الدنيا . فاقرأ كلمة امير القلم في امير السيف .

يا ابا سعدى ، ايها الامير الكبير ،

شيدتها عالياً ، وحكمتها السنين الطوال ، هجرتها منفياً ، وحننت اليها نائياً ، وتمنيت ان تودعها حياً ، وها انت اليوم تعود اليها لترقد فيها رقادك الاخير .

قرن وما يزيد مضى على بعادك عنها ، وقرن الا بعضه مضى على وفاتك في دار الغربة ، كم تقت ان ترجع اليها ، وكم رفرفت روحك حواليها ، وها قد تحققت احلامك واحلامنا وعدت الينا والذكريات المجيدة تواكب اميرها وبانيها .

هل تنكرت عليك المعالم والربوع ، او هل عرفت الدار بعد طول الهجرة والغياب ؟ ها هي جدرانها الحصينة تستقبلك ، ولو اعطيت من ربك نطقاً لرددت اصداء صوتك الرنان تتراجع في حناياها . تستقبلك بهدير صفاها الذي جررت ، وبحفيف اشجارها التي غرست ، تستقبلك بتلك المهابة وذلك الوقار اللذين نثرتهما على جوانبها ، واللذين ما فارقاها على مر الايام والسنين ، ذلك ان خيالك

لم يغادرها ولم يزل يطوف فيهـــا ، كأنه بذلك قصّر المسافات ، وسخّر امواج البحار .

دار ، كانت وما زالت « قصر البشير » رغم تقلب الاحداث ، وتعاقب الحوادث ، مـن عهدك ، الى القائمقاميتين ، الى المتصرفية ، الى الحرب الكبرى ، الى ما عقبها حتى يومنا هذا . لم يضرها ان تقلص حكمك عن الرعية لانه دخل في التاريخ ، وتجاوز التاريخ الى الاساطير .

. هـذا هو الشعب اللبناني باسره يقف متهيباً يلتمس رؤيتك ، يرافقك الى المرقـد الاخير خاشعاً فخوراً . هو مـن احفاد الذين كانوا في ركابك يوم الملمات ، والذين كانوا يلبون نـــداءك يوم النكبات . هو مـــن احفاد الذين رافقوك في الحروب ، والذين تمنعوا بامنك وعدلك يوم السلم . اجمعوا على تقديس لبنان ، محمديهم مع نصرانيهم ، لان لبنان وطن لجميع اللبنانيين على اختلاف دياناتهم وطوائفهم ، وقد اجمعوا على تكبير اسمك وتعظيمه ، لانك كنت من اكبر خدام لبنان ، ولانك بنيت لهم مجداً كان لهم مع مجد المعني من اضمن وثائق استقلالهم الناجز في بلدهم العزيز .

وها انا ، بصفتي رئيساً للجمهورية اللبنانية ، اقف بكل فخر هذه الوقفة ، كحافظ لمجدك ، وقائم على عهدك ، وعابر في دار خلدك ، لم نرممها لنرتع بها ، بل لنعيدها الى صاحبها وبانيهـا ، امانة غير منتقص قدرها ، ولا مفرط في حفظها ، امانة لبنان الى لبناني عظيم واسير كبير ، عرك الحياة وعارك الايام وصروف الدهر وخطوبه ، وذاق المجد والسؤدد والعز والابتهاج ولذة النصر مع مرارة الحكم وألم النفس الملح في الليالي السود ، يسهرها الحاكم طويلاً ، لتنام

الرعية آمنة مطمئنة .

ها ان الدار تسعى اليك ، ها ان الشعب اللبناني يتقدم منك باستقلاله الناجز ، واعماله المجيدة في سبيل السيادة القومية والعزة الوطنية .

تعود اليها واليه ولم يعد لحكم او لشبه حكم اجنبي اثر فيها او عليه ، معقود لواء لبنان ، مرفوع جبينه ، في حالة سلم واطمئنان ، اذ هو قد عاهد الشرق وصادق الغرب . رسله في كل بلد ، معتمدوه في كل قطر ، مغتربوه في كل صقع ، مفوضوه لدى الدول ومفوضو الدول لديه ، ممثلوه جالسون في المؤسسات الدولية يرفعون صوتهم لتأييد مبادىء الحق الانساني والسلام العالمي .

ايها الامير الكبير ،

ان الشعب اللبناني لفخور باستقبالك بعد هذه الحقبة من الزمن ، غير خجول بما حقق خلالها من اعمال سجلها التاريخ ، يبرهن للملأ ان ما زرعت واسلافك العظام بلغ النضوج وحمل يانع الاثمار ، وان ما بنيته وما بناه مَن تقدمك في صرح الاستقلال تثبت وترسخ . سلسلة كريمة اتصل بها هذا العهد الجديد بعد تراخي الحلقات في هجعة من الزمن .

يحق لك ان تدخل فخوراً مطمئناً الى دارك ، وان تطل علينا من جوار ربك قرير العين ، مسرور الجنان ، وان تلقي علينا امثولة الماضي ، وان تنير امامنا الطريق الى المستقبل المؤمل ، وان تهيب بنا الى جمع الكلمة ووحدة الصفوف ، كي نحمل مشعالك ، ونرفع

منارك من جيل الى جيل .

ها هي دارك فادخلها بسلام . ها هو لبنان فانزل به بامان . ولترعَ عينك اللبنانيين من مقيم ومغترب ، يا ابا سعدى ، ايها الامير الكبير .

بيت الدين ٢ تشرين الاول ١٩٤٧

ذكريات

هنا يتكلم بشـــاره الخوري الاديب وان لم يستطع ان يتجرد من ثوب السياسة الرسمي . ارأيت ما اخصب تشرين الاول ! فقد فتح الباب على مصراعيه ، فاطل علينا فيه الرئيس الاديب في ختامه .

ايها السادة ،

انني لسعيد جداً ان ارأس هذا الاحتفال ، بصفتي رئيساً للجمهورية اللبنانية التي بها افتخر وبها افاخر ، ولانني ابن رجل اشرف ، بامر متصرف لبنان ، على جمع التبرعات التي ساهمت ببناء مستشفى بعبدا القديم الذي نحن بفنائه الآن ، والذي سيقوم بجانبه المستشفى الجديد . وسعيد خصوصاً لانني ابن بعبدا الحافظ لها الذمام والجميل . فبصفتي رئيساً للجمهورية اعتبر نفسي خليفة لتلك السلسلة من حكام لبنان يوم كان « متصرف الجبل » وزيراً كبيراً او مشيراً خطيراً تقدمه للباب العالي الدول العظام فيصدر في تعيينه لمنصبه السامي « ارادة سنية » تسكب « بفرمان » ذي شأن مذهب الحروف يتلى بعد توليه على جماهير اللبنانيين في حفل يضم الكبار منهم والصغار ، فيبدأ عهده والمهابة تحف به والهيبة والجلال ، ويستقي من مهابته اول موظفيه قدراً وآخر نفر من انفار « ضابطيته » كما تستقي الشجرة الماء من معين غزير . يوم كان « متصرف الجبل » اميراً تنقاد له

الارادات الفردية فيصبح مثالها الاعلى وقبلة انظار ابناء رعيته على اختلاف طوائفهم ونحلهم ومللهم ونزعاتهم السياسية وعنعناتهم المحلية (وما كان اكثرها في ذلك العهد) .

اما الحاكم الذي كان قائماً حكمه يوم بناء هذا المستشفى فهو المرحوم مظفر باشا البولوني الاصل العسكري المنشأ في باب السلطان عبد الحميد رئيساً « للاصطبل العامر » ، ذلك الرجل المهـــاب والمشير الخطير الذي خانه الحظ في آخر ايامه ، فقضى نحبه في لبنان شهيد مساوىء كبير انجله الناشز على ارادة ابيه والجالب على نفسه وعلى عائلته عاراً ادخله السجن السحيق وادخل والده العظيم القبر العميق قبل الاوان .

وهذا المنصرف المصلح فكر في بنيان هذا المستشفى وعهـــد برئاسة الشرف للجنة التبرعات الى ابنـه الثاني مفتش الدرك اللبناني في ذلك الحين ، وبالرئاسة الفعليـة لرئيس « القلم العربي » المرحوم خليل بشاره الخوري ، والد هذا العاجز ، فأدى مهمته بعقله وجنانه ، وجمع المال الكافي للاعمال الاولية . اما الباقي فقـد انفقته خزانة لبنان التي كان يشرف عليها المرحومان « حشمت افندي » مالك « ارزة بعبدا » و « نمر شمعون » والد كميل شمعون نائب جبل لبنان ووزير داخليته السابق ووزيره المفوض حالياً لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى . وكان المومأ اليهما سخيين بالعطاء رغم المعروف عنهما من التقتير والشح في اموال الدولة .

اما كوني ابن بعبدا ، وابنها الحافظ لهـا ذماماً وجميلاً ، فهذا ما لا ينكره علي ابناء هذه العاصمة ، لاني بها ربيت وترعرعت ، وتركت في نفسي احلى الذكريات ، فلا اطأ ارضها — وقد جاوزت

حد الاربعين ــ الا وتعاود نفسي نشوة من الطرب تقصر عنهـــا نشوة الشعراء ، وان خانني التعبير وتلعثم لساني حيث يجد هؤلاء صيغة شائقة يسكبون بها عاطفتهم سحراً حلالاً .

فقد عشت في هذه البلدة عشرين سنة متواصلة في البيت الذي بناه بها ، وهي المارونيـــة الصرف ، المسلم السني الحموي الاصل ، اللبناني القلب والجنسية « الحاج احمد الحموي » عـلى رابية جميلة تطل على البحر الابيض الاجاج (على حد تعبير الصكوك القديمة) وتشرف على صحراء الشويفات ذات اشجار الزيتون النبيلة التي لا يحصيها العدد ، وعلى الجبل من عيناب حتى بحمدون .

وهل تنكر عليّ ذلك عائلتا بعبدا الكبيرتان مهما تناقض وتنافس « حلوها ومرّها [١] » في الامور الاخرى ؟

وهل ينكره عليّ باقي عائلات بعبدا وانا رفيق اولادها في الكنيسة والمدرسة والنزهة واللعب والمرح ، يوم كنت انهض باكراً فاحمل كتاب الصرف والنحو وامشي متجهاً نحو « مدرسة الضيعة » وهي عبارة عن حجرتين صغيرتين في اعلى رابية مـن روابيها ، فيلقاني مع رفاقي رجل مسن اسمه « المعلم امين » وكان نحويـــاً عظيماً ، الا انه كان يمزج « العربي الدارج » ببعض عبارات مصرية اللهجة ، بحجة ان والده انجبه في مصر وعاد بـه الى لبنان وهو ابن سنتين لا غير ...

وكم من لبناني برز في ميدان الحياة ، والفضل كل الفضل يرجع الى والديه ، وقد باعا ما ملكت يداهما ، وقترا على نفسيهما لينفقا

١ آل المر وآل الحلو وهما الاسرتان المعروفتان في البلدة .

عـــلى تعليمه بكرم وسخاء ، والفضل كل الفضل يرجع الى ذلك « المعلم المجهول » الذي لقنه صافية زلالاً ، قواعد اللغة منذ نعومة اظفاره .

ويكفي بعبدا فخراً انها انجبت شاعراً من اعظم شعراء هذا العصر ، وكانت تربطنا ببعضنا روابط الصداقة وهي في نظري قـد تبلغ حداً تقصر عنـــه روابط الاخوة ، الا وهو « تامر الملاط » ذلك النابغة صاحب القصائد العصماء ، اوليس هو القائل في مطلع قصيدة مشهورة :

مـــن عهد ايزيس وايزيريسا قبل المسيح وقبل شرعة موسى

اوليس هو القائل وقد وصف حالته المرضية وصفاً يعجز عنه اصحاء العقل والجسم :

دعـاني اجرع الغما فجفـني بالاسى نمّـا
وخـــلاني اصيحابي وسهم الغدر قد اصمى

وهو الواصف شعراً ، العراك مع النمر في الليل البهيم وصفاً جعله في مصاف الاولين مـن جاهليين ومخضرمين يفوق في نظري وصف القصيدة الذائعـــة الصيت « افاطم لو شهدت ... » حيث يقول :

وليل يكاد الكف يلمس جـــلده تراءت به الظلماء سدلاً على سدل
سريت به لم استخر غير صاحب من الهند يرضى كل شيء سوى خذلي
هويت عليه بالمهند فـــاتقى بصراء ابلت بالجراز كما يبـلي
فلم يبق الا مقبض النصل في يدي فقلت لزندي انت امضى من النصل

عذراً ايها السادة ، فقد دفعت بي الذكريات الحلوة اللذيذة الى خارج الموضوع ، انما الحق كل الحق على معالي وزير الصحة ومديرها

اللذين دعواني الى ترؤس هذه الحفلة وهما اللبنانيان الصميمان اللذان عرفا الروابط التي تربطني بهذه الارض المباركة ، والحق كل الحق علي اذ لم اكبح جماح النفس عن العودة بخاطري من الحاضر الى الماضي ، وهل اجمل من الماضي امثولة وعبرة للمعتبرين ؟

اما اليوم وقد انفتح عهد جديد للانشاء والعمران في هذه الجمهورية فقد ارادت الحكومة ورئيسها ان تحيط هذا الاحتفال بكثير من الابهة لتعيد الى الاذهان ذكرى الغابر من الايام الغرر ، ولتظهر للملأ نواياها الصالحة بانهاض البلاد انهاضاً يدفع بهـا الى الامام ، فيجعلها في مصاف اعظم الامم رقياً ، على صغر مساحتها وقلة وسائلها المادية ، والجميل كل الجميل يعود الى تلك النخبة من الاطباء العاملين ومن النواب النابهين الذين وقفوا سداً منيعاً دون انفاق « غرش الفقير » انفاقاً افرادياً ينثر نثراً فيزول اثره الخيري بعد حين ، وطلبوا الى الحكومة ان تجمد هذا الغرش فتجعل من هذه الساقية الضئيلة خزاناً لماء متصل الوريد تجعل منه قناة فياضة لينشأ في هذه العاصمة القديمة اثر خالد يعود على المجموع بالنفع العميم .

ولا شك ان مستشفى كالذي وضع تصميمه وسيباشر بناؤه فوراً بعد وضع حجره الاساسي اليوم ، امام هذا الجمع الحافل ، سيخفف عن اللبنانيين بعض الآلام ، ويساهم في تلك الاعمال الانشائية التي تقوم بها الدول بعد الحروب لمواساة البشرية الهائمة على وجهها في معترك الحياة ، والانسان ناس ، متناس ، كافر بالنعمة ، يزيد على الويلات المحيقة به من كل جانب ويلات جديدة لا عدد لها ولا حد كأنه يقدم كل يوم عن نفسه جزية للرقي والعمران .

اما نحن المجتمعين هنا ، فلسنا في موقف عتاب او حساب لتلك

الانسانية التي نحن منها ، فالى الامام ، الى العمل الصالح المنتج بعون الله ، وباسمه تعالى سأضع الحجر الاول لاساس هذا البناء الخيري طالباً منه ، عز جلاله ، ان ينظر الى لبنان نظرة الاب الشفوق على ابنائه ويسبغ عليكم جميعاً نعمة الصحة ويبعد عنكم آلام المرض وعناء الاستجمام والاستشفاء ، لنكون كلنا جنوداً اصحاء في خدمة الوطن العزيز المقدس .

عاش لبنان !

بعبدا ٣١ تشرين الاول ١٩٤٥

زحلة

ان مقدمة هذه الخطبة هي قطعة ادبية تجملها ذكريات الرئيس فيجري فيها
قلمه على رسله مفصحاً عن ان الانشاء هو الرجل .

ما كانت زحله بعيدة عن عيني وقلبي ، عرفتها بلداً لبنانياً طيب الارومة ، واحببت في بنيها الاخلاص والاريحية والشمم ، وهي صفات تمشي امام اللبناني اين كان ، طلائع في جميع الحقول والميادين ، اما وانا اليوم في عروس لبنان ، اشاهد وجهها المشرق ، واصافح يدها الوفية ، فانني احصها بتحية الاعجاب واحصها كما احضكم جميعاً خالص الشكر على هذه الحفاوة البالغة ، التي تتجاوز في نظري شخص الرئيس الى مظهر تأييد كامل للسيادة والاستقلال .

وفي زحله يطيب الشعر كما تطيب الخمر ، فهي بلا منازع احب الجنان اللبنانية الجميلة الى امراء الشعر والبيان ، واكثرها استثارة لقرائحهم ، ومجلى لخيالهم ، فلم يكن شعراء وادي النيل وبلاد الرافدين وغيرهم من كبار شعراء العالم العربي ، اقصر مدى من نوابغ الشعر اللبنانيين في حب زحله ، والتغزل بواديها ، فلقد صاغ كل منهم عقداً فريداً زين به جيدها ، غنّاها الرائح والغادي منهم نشيداً عبقرياً حملها الى ملأ اسمى ، فيه جمال وفيه خلود ، فسمعناهم يخاطبونها بلسان المغفور له احمد شوقي :

يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الاحلام من ذكراك

وتستيقظ في نفسي الآن ، وانا اخاطبكم ايها الزحليون ، ذكريات حلوة ، كتلك التي يلوّح بها امير الشعراء في قصيدته بوصف زحله ، وهي ذات علاقة بي وبذكرى تشبه الاحلام ، وبهذه الضفاف الساحرة التي يتدفق فيها البردوني باغانيه الجبلية السرمدية .

كان ذلك عام ١٩٢٧ ، وكنت آنئذ رئيساً للوزارة ، وكان شوقي في ضيافة زحيلة كما سماها تحبباً ، واذكر فيما اذكر ان الحكومة ساهمت معكم بتكريمه في ذلك الحين ، فمنحته وسام الاستحقاق ، وترأست باسمها الحفلة التي كنتم قد اعددتموها على شرفه في احدى ليالي آب من ذلك العام ، وقلدته الوسام ، وتلوت المرسوم الذي يبين اسباب ذلك التقدير ، وقد جاء فيها : ان شاعر مصر الكبير كثيراً ما تغنى بمحاسن لبنان ، وجماله ، فكانت منظوماته عاملاً حقيقياً للاقبال على الاصطياف ، فاستحق شكر لبنان .

وهنا يحين لي ان انتقل بكم من افق الادب الى افق آخر ، فأقول ان تلك الحفلة الوادعة في الوادي الظليل قد كان لها صداها البعيد على ضفاف النيل ، وان زحله دشنت بها عهد التفاهم والولاء بين لبنان واخوانه وجيرانه ، وان رابطة الروح ليست حديثة بينه وبينهم ، وان هذه الرابطة قد كانت قبل ان يخلق ميثاق الاسكندرية ، وقبل ان تنشأ جامعة الدول العربية ، تمهيداً لتعاهد متبادل قام على اساس الند للند ، وعلى اساس الاستقلال الكامل لكل فريق من المتعاقدين ، مما لا يترك اي مجال لاي تأويل .

قلت واعيد ان لزحله وهي عروس المصايف اللبنانية فضلاً في وضع نواة التفاهم بين لبنان وسائر الاقطار العربية ، يوم كانت

المنتجع الوحيد لطلاب الراحة والعافية من ابنـاء هذه الاقطار ، ينزلون فيها على وجوه باشة ، وعلى رحاب مضيافة ، فمهما ازهرت واينعت مصايفنا اليوم ، فمما لا شك فيه ان زحله والزحليين هم الذين اوجدوا الاساس ، ووضعوا حجر الزاوية في بنـاء المصايف اللبنانية ، فلمدينتهم على نشأة العمران عندنا ، وعـلى نموّه ، جميل جزيل .

زحله ٨ تشرين الثاني ١٩٤٥

ابو العلاء

افتتح فخامته مهرجان ابي العلاء بهذه الخطبة ، فترجم له ، وارخ احواج كتبه كأستاذ ادب عربي كبير ، ثم رسم خطوط ادب المعري الرئيسيه كأديب وناقد .

ايها السادة ،

يحتفل العالم العربي في هذا العام بالذكرى الالفية لمولد ابي العلاء المعري .

وتقيم وزارة التربية الوطنية سلسلة من المحاضرات وفاقاً لبرنامج اعدته ، احياء لذكرى من يفتخر الادب بنتاجه العبقري ، ويعتز الفلسفة بما ولد فكره العجيب الخصيب ، من شعر تسبغ عليه الحكمة ثوباً رائعاً تسير به الركبان ، ونثر يفتح للعقل آفاقاً من التفكير على تعاقب الاجيال .

وفي مثل هذه الايام من السنة الهجرية الثالثة والستين بعد الثلاثمائة (٣٦٣) ولد احمد بن عبد الله بن سليمان في معرة النعمان من بلاد الشام واعمال حلب ، في اسرة عريقة ينتهي نسبها الى قضاعة والى قحطان ، وما ان اتصل بالحياة حتى انتابه مرض ذهب ببصره فاصبح اعشى . غير ان الظلمة التي تحجب عن عينيه نور الارض لم تحل دون اشراق قلبه بانوار علوية كانت له بصيرة وهدى ،

وكانت به هدياً وهداية .

ومهما اختلفت في ابي العلاء المذاهب ، وتشعبت في عقائده الآراء ، من الالحاد الى الايمان وما بينهما من شك وارتياب وسخرية في عقائده وعقائد الآخرين وحملاته على الرياء وما شاع في عصره المضطرب من فوضى الاخلاق والمجتمع ، فان المعري من اعظم المفكرين واكتب الناثرين وابلغ الشعراء واحكم الفلاسفة .

لقد دالت منذ ولادته دول ، وزالت ، ودولة ادبه شعراً ونثراً حية باقية ، راسخة في العقول ، متمكنة من النفوس ، لانها دولة تتحدى الفناء وتخلد خلود الحياة .

انني اذ افتتح هذا المهرجان الادبي احتفاء بالذكرى الالفية لمولد الفيلسوف الشاعر ليسرني ان يكون لبنان السبّاق الى القيام بهذا الواجب ، شأنه في خدمة اللغة العربية وحمل لواء ادبها في الشرق والغرب على حد سواء .

ويلذ لي بصورة خاصة ان يكون لبنان قد سبق سواه في اذاعة آثار شاعرنا الفيلسوف . فانتم تعلمون ولا شك ان في بيروت قد ظهرت الطبعة الاولى لديوانه المعروف « بسقط الزند » نشرها مع ضوء السقط المعلم شاكر شقير سنة ١٨٨٤ اي قبل طبعته المصرية بسبع عشرة سنة .

وهنا في بيروت ايضاً ظهرت اولى طبعات رسائل المعري ، وهي الطبعة التي شرحها المعلم شاهين عطيه ووقف على نشرها الشيخ احمد عباس اللبنانيان سنة ١٨٩٤ اي قبل طبعة المستشرق مرغليوث باربع سنوات .

ولئن كانت الطبعة الاولى من « رسالة الغفران » قد ظهرت في

مصر فانما كان ذلك بهمة لبناني آخر هو الشيخ ابراهيم اليازجي الذي وقف على القسم الاول منها ، ثم عاجلته المنون قبل اتمام ذلك العمل .

وقد اتيح للبنان كذلك ان يعرّف شعر ابي العلاء الى العالم الغربي في العصور الحديثة . فنشر امين الريحاني في نيويورك منذ السنة ١٩٠٣ منتخبات من « اللزوميات » نقلها الى اللغة الانكليزية . وكان ذلك قبل محاولة المستشرق « سلمون » في تعريف نتاج الشاعر الفيلسوف الى الغرب باللغة الفرنسية بسنة واحدة ، وقبل نقل اللزوميات الى التركية باربع سنوات ايضاً . فاذا بادر لبنان الى تكريم ذكرى ابي العلاء فانما يجري على طريقته في السبق والتنبه الى احياء التراث الثقافي العربي ، مضيفاً هذه الحلقة الجديدة الى سلسلة لا يريد لها تفككاً او انفصاماً .

يتساءل البعض كيف يمكن ان يجتمع في انسان واحد الشعر والفلسفة ، وكيف يوفق بين هذين النقيضين ؟ فالفلسفة تمت الى العقل والشعر ينتسب الى القلب والشعور . فكيف يتلاقى الضدان فتكون الفلسفة اداة للشاعرية ويكون الشعر وجهاً للفلسفة ؟

وما من جواب ابلغ في اقناع المتسائلين من تصفح ما جادت به قريحة ابي العلاء وما صاغته عبقريته من درر وحكم في اسلوبه الشعري . فاذا فعلنا رأينا ان صيغة الشعر لا تنفر من الفلسفة . وان الافكار الفلسفية والحكمية تكتسب بهجة ورونقاً اذا ما وقعت على وتر الاوزان وتحدرت من العقل الى الشعور .

واقل ما يقال بالايجاز في صاحب هذا العبد الالفي انه ثمرة ناضجة من تلك الدوحة الشعرية الحكمية التي تأصلت جذورها في

زفرات طرفة بن العبد واحكام زهير بن ابي سلمى. وبسقت غصونها مع غمزات بشار وآراء صالح بن عبد القدوس . وتنوعت زهورها في روميات ابي فراس الحمداني وفخريات المتنبي . حتى اينعت ثمارها في لزوميات ابي العلاء .

وشاعرنا انما يتناول فيها من ناحية التشاؤم الساخرة مشاكل الحياة ، ومظاهر الطبيعة ، وصلة كل ذلك بما وراء الطبيعة . فيخطىء في احكامه احياناً ، وقد يتطاول بخياله الرحيب الى ما لا يصل اليه القياس المنطقي . ولكنه يبدو في كل حال اتم مظهر لذاك التقليد العربي الجاري منذ عهد الجاهلية في الجمع بين الحكمة والشعر ، والواقع والخيال . فيستحق ولا شك لقب شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء .

وما ضر اعمى المعرة ان انطفأت شعلة النور في عيني جسده ما دام ذلك قد زاد بصيرته حدة وعبقريته سمواً ومضاء . فهدى الناس الى صراط طويل المدى ، ووسع آفاق الفكر في سعيه للوصول الى حقيقة الوجود بين شك يضني وايمان ينعش .

وما اصدق ما قاله شاعرنا اللبناني خليل مطران في رثاء محمود باشا سامي البارودي الذي غشيت عينيه هو الآخر ظلمة حجبت عنهما النور ، اذ نردده في هذا المقام وبهذه المناسبة :

اذا وسع الكون فكر امرىء فلا بأس بالطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهدي المبصرين وليس على الشمس ان تبصرا

لبنان ارض المدنيات

استقبل فخامته الاديب الفرنسي الشهير جورج ده هامل احد اعضاء المجمع العلمي الفرنسي ، المنقبين بالاربعين الخالدين . ثم القى هذه الكلمة السامية حين قلده وسام الارز . فرد ده هامل على كلمة الرئيس « نحن معشر الذاهبين » بقوله له : بل انت الخالد بادبك الرفيع يا فخامة الرئيس .

ايها الاديب ،

لست ادري اذا كان لقبكم المجمعي ولباسكم الاخضر يضمنان لكم الخلود ، ولكن الذي استطيع تأكيده دون خوف الشطط هو ان مواهب ذكائكم ، وقلبكم ، ومزاياكم ، ككاتب ، وشاعر ، ومفكر ، تضمن لكم الدوام الذي في استطاعتنا « نحن معشر الذاهبين » ان نصبو اليه .

يحق لكم ، ولا ريب ، ان تغنموا هذه الهنيهات التي ينصرف فيها المفكر الى التخيل ، والتفكير ، والتأمل ، والصلاة ، وهي ساعات حلوة تنبعث فيها موسيقى داخلية يزورنا خلالها الملاك العلي مبشراً ، ملهماً ، منهضاً .

وعندي ان كل رجل : رجل الدرس ، ورجل العمل ، عليه ان يعمل بنصيحة احد مفكريكم القائل : يجب ان نعتزل الناس لنفكر ، ونمتزج بهم لنعمل .

لقد اتيتم الينا وقائدكم شعار الاتحاد الفرنسي ، فأهلاً بكم ، ولكن هناك ما هو خير : اليس الاتحاد في الغالب مرادفاً للصداقة ؟ وهذه حالكم انتم ، وحالنا نحن ، هي صداقة غالية ، واي صداقة لم تكدرها سحابة ؟ ولكنها سحابة لم تلبث ان هبت عليها من العبر ريح عظيمة بددتها ابد الدهر .

وهناك ما هو خير من هذا : ذلك انكم رسول حضارة عريقة ليس بها شيء مما يبعث على الفخامة والغرابة والتظاهر ، فهي محافظة منفتحة على السواء ، وليدة التوازن ، لا يمل المرء ابداً من استجلائها كما يستجلي تمثالاً استكمل حظه من الجمال والخطوط المنتظمة ، والتقاطيع النسبية الرائعة .

لم تخالف الانسانية الاتزان يوماً دون صارم عقاب . ولكم كلف من دموع ودماء هذا التصدع في قوى الانسان .

انك تزور ارض حضارة عريقة مزدوجة : حضارة غربية ورثت منها هذه الشطآن وما تزال تنتسب اليها ، وحضارة شرقية زاخرة بالجمال والروائع ، وان ارض هذا الوطن تمد الى كل منهما يداً لتجمع احداهما بالاخرى ، وتستخرج خير ما تنطوي عليه كل منهما ، وكذلك فان منارتنا الرمزية ترسل اشعتها الدوارة الى الشرق والى الغرب .

ان اهل هذا البلد ملكوا وما زالوا يملكون اسباب الحضارة المادية والادبية : من نار تبعث الحرارة وتلهب القلوب ، ومن نور يضيء العيون ويغمر النفس ، ومن وعاء كأس زجاج ممتع الالوان ، او هو كأس الخلاص ، ومن خبز وخمر هما طعام ارضي وغذاء سماوي . والشجرة سبب هلاكنا ، وعود فدائنا والرباط يشد خناق

الكيس والمجرم ، واواصر الصداقات المتينة ، ومن عجلة تقرّب بين القارات ومجذاف يصل الشواطىء .

وفوق هذا كله فان سكان لبناننا عرفوا ان يرسموا مخارج الصوت ، ولديهم الكتب التي تستقي الانسانية منها مقومات السلام على الارض والسعادة في الآخرة . ولقد عرفوا بالادب ، والكياسة ، والقرى ، وروح المحبة ، واجلال حرية الانسان ، وظمأ الى الحقيقة بتشوقهم الى الماء الحي الذي وعد به على بئر السامرية .

فعسى ان نوفق نحن معشر الذاهبين ، فلا ندع هذا المشعل ينطفىء ابداً لتستمر هذه المدنية التي تقرّب الانسان من خالقه .

فالى هذه الثقافة ، والى هذه المدنية اللتين تمثلونها ، والى اتحاد هاتين المدنيتين اللتين تجدان مجال عملها ولقائها على هذه الارض اللبنانية ، يقدم رئيس الجمهورية والحكومة اللبنانية في هذا المساء آية الاجلال ، ويمنحان وسام الارز من رتبة فارس كاتباً وشاعراً ومفكراً ، بل رجلاً من رجالها .

١٠ كانون الثاني ١٩٤٧

في عيد المولد

عودنا فخامة الرئيس اجادة الكلام في عيد المولد الشريف والاعياد المباركة الاخرى ، واضعاً نصب عينيه الدعوة الدائمة الى توحيد قلوب الطوائف .

... فلبنان يا صاحب السماحة وطن الجميع وبيت الجميع وعائلة واحدة للجميع ، مسلمه ومسيحيه عيناه وساعداه ، حكومته وشعبه جنداه وحارساه ، موظفه ومكلفه خادماه وعاملاه ، والجميع مسؤولون امام الضمير والواجب عن تأييد استقلاله واستقرار احواله ، وصون كرامته وسيادته ، وانا على هذا العهد ، وعلى شرفه ، اكرر تهنئتي ، واكرر تقديري للنهج الامثل الذي تتبعه الطائفة الاسلامية الكريمة في تأييد الوضع الاستقلالي والساهرين عليه ، واسأله تعالى ، وقد بددت غياهب الحرب عن العالم وقاربت جداً الجيوش الاجنبية ان تجلو جلاء تاماً ، ان يبلغ لبنان امانيه في ظل السلم ، وان يعيد هذه الذكرى الخالدة موفورة الهناء والعز والسؤدد على جميع بنيه .

١٤ شباط سنة ١٩٤٦

يا صاحب السماحة ، اذا ادلهمّ خطب او ألمّت نازلة ، فان في السِيَر الصالحة ، وفي الذكريات الخالدة كالتي تتجدّد ونحتفي بها اليوم ، قوى كامنة تبعث الهمم ، وتشدّد العزائم على مقابلة الخطوب

وتحمّل الكوارث ، وهذا هو شأن لبنان والبلاد العربية جمعاء ، التي آلمتها محنة فلسطين ، ذلك القطر العربي العزيز .

وما حملت السيرة النبوية على مدى العصور مثال البطولة والجهاد فحسب ، بل حملت ايضاً فضيلة الصبر على تحمّل المضض والالم في مجابهة الارزاء ، ومداورة الاحداث ، ريثما يؤتي الله الصابرين فرجاً عظيماً ونصراً مبيناً يعيد الامر الى اصحابه ، والحق الى محرابه ، وانه سبحانه على كل شيء قدير .

ان املا يملأ نفسي ، وهو ولا شك يغمر نفوسنا جميعاً بمعونته تعالى لبلوغ غاياتنا المثلى واهدافنا العزيزة ، وان ابتهاجاً لا مزيد عليه يخالجني في هذا الموقف ، اذ نتبادل مكنونات النفوس من الاماني والآمال ، ونستعيد اعذب الذكريات تيمناً بعهد بناه ايمان اللبنانيين بمستقبل وطنهم ، وباستقلال ساهموا كلهم في طلابه ، وكان لسماحتكم ولطائفتكم الامينة مواقف مشرّفة في سبيله ، وبميثاق خطته ضحايا اللبنانيين بدمائها الغالية تحت راية من الالفة والوئام والاتحاد ، اظلّتهم بالاخاء ، وهذا ما يؤلف بين قلوبهم وما يجعل من اعيادهم الدينية مواسم وطنية تتجلّى بها فيما بينهم عواطف الاخوة الكاملة ، والاخلاص المجسّم لعهد اسعدني الله بان جعل من رئاستي فاتحة له كما ذكرتم ، والله ، جلّ جلاله ، انما اضفى نعمته علينا جميعاً ، وكافأ جهودنا المشتركة ، رئيساً وحكومة وشعباً . الوجوه تغيب ، والولايات تنقضي ، والرئاسات تزول ، ويمضي الزمن في موكبه السريع . يذهب البناة ويبقى البنيان ويبقى العهد ويبقى لبنان .

اول كانون الثاني ١٩٥٠

ابقَ معنا يا معلم

لفظ هذه الكلمة رداً على خطبة نيافة الكردينال اغاجانيان، فحاق بها في افق لا يحلق فيه الا كبار الكرادلة، فلم ادر ايهما الكردينال العظيم .

يا صاحب النيافة ،

ان نيافتكم قد فاجأتني بالخطبة المتسامية في مرماها الادبي والاجتماعي .

ولمناسبة احتفالات فصحية كهذه من المستعذب التأمل في امثولة الرأفة التي يبعثها في ذهن الانسانية تذكار القيامة .

وبين هذه التذكارات يحضرني واحد يبدو لي ابينها رمزاً واشدها تأثيراً ، ألا وهو تذكار تلامذة عماوس الذين لم يعرفوا ، اولاً ، الرفيق الالهي الذي ماشاهم الطريق ، والذين لم يتمالكوا ، امام كلماته السامية ، عن القول له : « ابق معنا يا معلم فان الغسق يدنو . »

ونحن كذلك ، في حين يتجهم وجه الافق ، وفيما تتلبّد غيوم قتامها السماء ، نحن ايضاً نلتفت نحو السيد النافض اكفان الموت لنسأله ان يبقى معنا وان تسهر عين عنايته على لبنان ، لبنان هذا الذي يظل الوطن الحاضن لجميع ابنائه بدون تمييز او تفريق بين طائفة ومذهب ومعتقد ، والشامل الجميع بمحبة واحدة وعطف واحد .

يسرني لهذه المناسبة ان احيي في نيافتكم واكليروسكم الموقر وسائر افراد الطائفة الارمنية الكاثوليكية روح النشاط والنظام الذي تتحلون به .

ان الحكومة ستجد من واجبها السهر على تحقيق منهاج الاصلاح الاجتماعي الذي اشارت نيافتكم الى اهميته .

واني اذ ارفع الشكر الى المخلص لمناسبة الاحتفالات الفصحية التي تفضلت نيافتكم ودعوتمونا اليها ، نطلب اليه ان يسكب فيض بركاته على شخص نيافتكم واكليروسكم وجميع افراد طائفتكم وعلى لبنان باسره .

١١ نيسان ١٩٤٨

المدرسة والوطن

كلمة مخلصة قالها في معهد دير سيدة مشموشة الذي ترأس فخامته يوبيله ، فجمعت الى اللاغة محبة الرئيس واخلاصه للبنانيين ورجاءه الوطيد بهذا الوطن الصغير .

كان يجب ان ننظم معلقة لنأتي الى هذا الدير في هذا اليوبيل ، لكي نكون على وتيرة واحدة مع سوق عكاظ التي اقيمت في بهوه . ولكن ليس القصد في الفصاحة ، انما القصد ان احمل الى هذا الدير الذي بني على اسس التقوى والفضيلة والعلم ، تشجيع رئيس الجمهورية اللبنانية في هذه الحفلة العائلية . واقول لكم ان ما امتزتم به هو فضيلة اللبناني على مر الدهور ، وهو الذي كفل له الحياة وسيكفل له ان شاء الله الخلود .

وهذه الفضيلة على ثلاثة اقسام : دماغ مفكر ، وقلب محب ، ويد عاملة . الدماغ المفكر لينظم الخطط وليقيم العمل ، والقلب المحب ليجذب اليه جميع ابناء هذا البلد على اختلاف نحلهم وطوائفهم لان لبنان امتاز بضيافته وحبه للقريب ، والعامل الثالث وهو الاذرع العاملة التي احيت هذه الارض المقدسة فجعلت الصخور الجرداء ارضاً خصبة تكفي الجميع .

هذا ما امتزتم به ايها الرهبان ، وعلى هذه الاسس اسستم الدير ، ومن هذا الدير انبثقت المدرسة ، ومن هذه المدرسة اخرجتم الرجال

الاكفاء . وان ما سمعناه الآن من تلامذتكم القدماء من شعراء وادباء ومحامين وصحفيين ، يجعلنا نزيد على فخر لبنان فخراً جديداً . وانا اذ دخلت الى هذا الدير ، والى هذا المعبد ، تخشعت وتركت امام المذبح احزان الرئاسة وافراحها ، حلاوتها ومرارتها ، مجدها وتعبها ، لأفكر واتأمل في ما يجعلنا رجالاً ، فرأيت ان الاسس التي بنيتم عليها هذا الدير وانبثقت عنها هذه المدرسة ، هي الحقيقة التي يجب ان نبني عليها هذا الوطن . الدماغ المفكر هو ما يلهم الحاكم ان يعمل الخير ، والقلب المحب هو الذي يجمع حوله القلوب المحبة . ان بهرجة الحكم عرض زائل ، اما ما لا يزول فهي محبة الشعب لرئيسه . واليد العاملة تأتي بالعمران الذي هو طرق ، وري ، وماء شرب ، ومستشفيات ، ومدارس ، وكل ذلك ليمجد الخالق في لبنان ، ويمجد لبنان بين الامم .

فاليكم جميعاً ، الى صاحب السيادة ، الى حضرة الاب العام الرئيس الفاضل ، الى الرهبان الكرام ، الى عصبة التلامذة القدماء ، الى الخطباء ، وهم يعلمون انهم لو فتحوا قلب الرئيس لرأوا فيه صورهم مجسمة ، صور اللبناني الذي يجب ان نتفانى في سبيله . وانا آخذ من جميع المديح الذي صاغه الخطباء لشخصي ، واجعله باقة ارميها امام مذبح الله لأتجرد وافكر بما فيه خيركم ، ومجد لبنان وفخره وسيادته واستقلاله .

٣ تشرين الاول ١٩٤٨

إلى بنّي رب البيت

تحدثنا عن هذه الكلمة في مقدمة هذا الكتاب ، وها نحن ننشرها هنا كاملة ، ليدرك القارىء ما فيها من شعور عنيف بعظم المسؤولية ، ورجاء بينـــاء الكيان اللبناني على صخرة وحدة طوائفه .

ايها الاب الجليل ،

ان جامعة القديس يوسف ، في ارتقائها نحو نور اصفى ، وهواء انقى ، وسماء افتن ، بعيداً عن ضوضـاء المدينة ، ولكن قريباً دائماً منها ، جاءت تستضيف سيدة الجمهور .

اكبر همها ان تماشي مقتضيات العصر ، وتوفر الاكثر من المرونة لاجساد طلابها ، وتفسح امـــام عيونهم ونفوسهم افقاً اوسع ، فاختارت قمة من اجمل هضبات لبنان لتجعل منها دارها الجديدة وتنشر منها اشعاعها .

ويطيب لي جداً ، انا شخصياً ، بوصفي رئيس دولة وتلميـذاً قديماً وفياً في تعلقه بتقـاليد البيت ، ان اشترك اشتراكاً فعالاً بترسيخه ترسيخاً اعمق في الارض اللبنانية ، وان ابادر ، اذا صح القول ، الى « عمـــاد » حجره الاساسي بحضور عرابين عظيمين : الكرسي الرسولي والجمهورية الفرنسية ، الممثلين ألبق تمثيل فيما بيننا .

رسمتم ايها الاب الجليل في خطاب ، تنافس فيه المبنى الجيـد

والمعنى البعيد الغور ، صورة الماضي الذي ما زال حياً نابضاً بآلاف الذكريات ، والقيتم نظرة امل نحو المستقبل الطالع .

انا ادرك ان بادرتكم اليوم ، كبنيانكم غداً ، يرتكزان على ايمان مزدوج : الايمان بالله والايمان بلبنان .

الايمان بالله : لانه ، ان لم يبن رب البيت فعبثاً يتعب البناؤون .

الايمان بلبنان : لان ماضيه هو اضمن ضامن لكيانه ولمصيره . ان لبنان هو بآن واحد ، فعل ايمان بالله ، وفعل رجاء بجوده اللامتناهي ، وعلى الاخص فعل محبة يتجدد كل يوم بين جميع ابنائه ، على اختلاف مذاهبهم .

وبدوري ، دعوني اقول لكم ، انتم يا من تحافظون على سمو تقاليد التربية والتعليم النبيلة ، دعوني اقول لكم ما يتوخاه لبنان منكم : انه يضع ابناءه في عهدتكم ، الرأسمال الانساني الغالي ، ويعود اليكم انتم امر الاعتناء باجسادهم وبخاصة امر ترويض عقولهم ونفوسهم ، وتلقينهم الفضائل السمحاء الموروثة التي هي سبب عظمة بلادهم والتي يتعدى اشعاعها بعيداً نطاق الحدود الارضية الضيق . انهم ولدوا على مفرق السبل العظمى ، الذي كان منذ العصور البعيدة وسيلة رحبة لتبادل الفكر بين الشرق والغرب ، وهمزة وصل بين ثقافتين ومحكّاً بين مدنيتين .

ولكن ما نفع هذه الآفاق الواسعة والمرامي المديدة اذا ما كان اللبنانيون ازاء انفسهم غير سمحاء ؟ فهلا علمتموهم ان تاريخهم كان عظيماً وجميلاً بقدر ما تفاهموا وتحابوا ، وانهم كانوا ، على مدى الازمان ، بناة سعادتهم او شقائهم ، وما من شيء يحفظهم ويحميهم الا ارادتهم على العيش معاً ، هذه الارادة النابتة اصولها

العميقة في الاحترام المتبادل للمعتقدات وللحريات العزيزة عندهم .

ومن اجل هذا العمل الجميل ، السامي ، النبيل ، لا اتردد ، ايها الاب الجليل ، في ان اقول لكم اننا نمحضكم الثقة لانكم استم الدار الجديدة على غرار القديمة ، على الصخرة اللبنانية ، بعـــد ان استموها على الايمان بالله وعلى ذروة سامية تنفخ فيها الروح .

٣٠ نيسان ١٩٥٠

تأملات مع عاطف

هذه صفحة ادبية كتبها الرئيس في تاريخ لبنان حين ترأس حفلة ازاحة الستار عن تمثال الاب سارلوت الرئيس السابق لمعهد عينطوره . وما انتهى من القاء كلمته الرائعة حتى هز الاعجاب الاديب الفرنسي بيار بنوى، عضو المجمع العلمي الفرنسي ، فدنا من فخامته محيياً ، داعياً اياه : حامي الثقافة .

حضرة الرئيس ،

اشكركم لاشراكي في هذه الحفلة ، واغتبط بان ارى عينطوره من جديد في هذا الموقع الساحر الذي لا تمله العيون .

ومهما امعنت الذكريات بعداً عني مع الماضي ، فبوصفي ابناً للجبل ، اعود الى رؤية « مدرسة الجبل » واسسها راسخة في الارض اللبنانية ، وهي متألقة على الاكمة كالمشعل الذي عناه الانجيل .

لقد اتيح لي حظ التعرف الى سلفيكم ، وكانا مثلكم يحملان الجنسية المثلثة : الرومانية والفرنسية واللبنانية . فالاب سالياج كان قد بلغ اسمى ذرى الشعبية الابوية ، وكان اسمه يملأ الافواه والقلوب عبر هذه البقعة الى مدى بعيد . لقد قدر لي منذ نحو اربعين عاماً ان اكون ضيفه على العشاء في مأدبة منقشفة سخية ، وان ابيت ليلة لا تنسى من ايلول ضمن جدرانكم القديمة ، وان احضر قداس

الصباح يتلوه عمي الكاهن قيصر الخوري ، احد آبائكم المرسلين ، المؤتمن الكبير على صندوقكم ووكيل خرجكم ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى نبيل . وكان تعلقه بكم لا يقل عن تعلقه بدعوته الكهنوتية ، حتى انه اعرض عن الشرف الكبير بان يصبح رئيس اساقفة ابرشية صور المارونية ليواصل بوداعة دعوته في الخدمة محترساً وفياً .

اما الاب سارلوت الذي جئنا نحتفي بذكراه اليوم ، او بكلمة اصح لنعيده الى هذا المعهد ، الى معهده ، بالمظهر الذي يطمع فيه الانسان بان يتحدى الزمن ويقلد الخلود ، فقد ترك بيننا تذكارات جد واضحة ، لقد كان قلباً كبيراً ، ملهماً ، ساهراً طول مدة رئاسته .

ألحق خلال الحرب العالمية الكبرى بجزيرة ارواد ، فكان غالباً ما يزور الساحل اللبناني حاملاً المساعدات المادية والمعنوية الى سكان هذه المنطقة ، المنفصلين عن سائر العالم والذين كانوا يكابدون من العزلة الروحية ما هو اشد ايلاماً من جوع الجسد .

ان الاب سارلوت الذي كان رئيساً نشيطاً ، مخلصاً ، ممثلاً حياة داخل هذا المعهد ، وشخصية مرموقة صلبة المودة خارجه ، سيبقى الى امد طويل حياً وحاضراً في فكر الذين عرفوه واحبوه حباً عميقاً .

وانا واثق من انه لو تيسر لذرة من الفرح الارضي ان تنفذ الى السماء ، لبلغت قلبه في هذا اليوم ، ولكن الذين دعاهم الله الى جواره ، لهم طريقة خاصة بالمساهمة في افراحنا ، وذلك بالصلاة التي ما ينفكون يتلونها معنا ، وبهذا التبادل غير المنظور ، ولكنه

الواقع ، الذي تطلق عليه الكنيسة اسماً جميلاً « شركة القديسين » .

لقد عرفت ، وقدرت ، واحببت كثيرين من خريجي عينطوره ، بين انسباء واحلاف واصدقاء ومساعدين ، الذين اسائل نفسي احياناً عما اذا كنت واحداً منهم او ما ازال غريباً عنهم ، ولن اذكر اسماء ولن اتميز الوجوه العديدة البارزة بين الاحياء والماثل معظمها اليوم في معهدهم القديم ، ولكن هل استطيع بصدد الذين غادرونا من امد يسير ان لا اذكر بتأثر سليم نقلا الذي انتزع باكراً من محبتنا ، وهو في ميعة الشباب ، وملء النشاط ، واذكر منهم اثنين آخرين وحدتهما الحياة ، وتبع احدهما الآخر في الموت خلال فترة قصيرة ، هما المطران عبد الله الحوري ، وعمر بك الداعوق .

لقد مثّلا دائماً في نظري الصداقة الخيّرة بين شخصيتين مختلفتي العقيدة ، تساوى كلاهما اقتناعاً بصدق معتقده الى جانب انهما جد متساهلين لان الدين الحقيقي يجهل التعصب وينبذه .

وأما على الصعيد الوطني فقد كانا يرمزان بين المحمديين والمسيحيين الى هذا الاتحاد المثمر الذي هو اليوم ، والذي يجب ان يبقى غداً احدى الدعائم المتينة في سياستنا اللبنانية .

حضرة الرئيس ،

ان معهد عينطوره الذي توجه مقدراته برئاستكم اليوم ، يفتح امام عيون طلابه الى جانب اسفار الحكمة البشرية والحكمة الالهية ، السفر البديع ذا الاطار المتناسق للطبيعة اللبنانية ، هذه الطبيعة التي عني الله نفسه فرسمها بيده منوعة ، عذبة ، اخاذة ،

جليغة بحد ذاتها . وفي صنيع الله هذا ساهم القروي اللبناني بكل قلبه ، وبكل نفسه ، وبعرق جبينه ، وبقوة ساعده ، ففتت الصخر ، وروّض الماء ، واستنبت الارض اثمارها وازهارها . وذاك بيته ذو الخطوط المتناسقة يعيش متواضعاً في عمق الوادي ، او يتعلق بانفة على منحدر الهاوية دون ان يتأثر بدوارها .

رجائي اليكم ، انتم الاساتذة ، ان تعلموا تلامذتكم تاريخ هذه الارض ، ومحبة هذه الارض ، واحترام الهبات السخية التي نفحتهم بها ، اعملوا ليتفهموا لغتها ، ويحبوا وجهها ، ليحيوا لها وليموتوا عند الحاجة من اجلها . انها لجديرة بذلك .

انني افهم تماماً باي قدر يتحسسون سحرها الجذاب ، لاننا نحن انفسنا لا نستطيع الانفكاك عن هذه المشاهد الفاتنة ، ولان ضيوفاً عظماء اتوا الى عينطوره لضيافة بضعة ايام فقضوا فيها قطعة من العمر ليتسنى للانغام الداخلية ، بوحي مستمد من هذه المواقع المختارة ، ان تخلق البدائع جارية من اقلامهم .

اية امثولة نستنتجها من زيارتنا لهذه الدور الثقافية المتعددة التي تنشر مع المعرفة في هذه الارض المباركة من لبنان ، عبادة الله واحترام الذات ومحبة القريب .

تكلمت عن الحكمة البشرية وعن الحكمة الالهية ، وفي يقيني ، رغم العقيدة السارية ، ان الثانية ايسر منالاً ، لان الاولى لا تلوذ بغير وسائلنا الشخصية ، بينما وهبنا الله للارتفاع الى حكمته جناحين من الايمان والمحبة .

واذا كان من الصعب ، بل من المستحيل ان نقول مع هوراس ان شظايا الكون المحطم تصيبنا ونصمد لها برباطة جأش على غرار

البار الوثني ، فيكون اسهل علينا ، وابقى لاتضاعنا ، واقرب الى الحق فينا ان نطبق على انفسنا ما فعله الاب سارلوت طيلة حياته وعندما غادر هذا العالم ، مرددين هـــذه الكلمات الجميلة للقديس اوغسطينوس : « لقد خلقتنا لك يا رب ، ولن تجد قلوبنـــا راحة الا فيك . »

٢٨ نوار ١٩٥٠

كلمة في الرجال

قلت في مقدمة هذه المنتقيات من الخطب ان فخامة الرئيس يصور الرجال اصدق تصوير حين يتكلم عنهم ، وهاك ثلاثة نماذج من كلامه في ثلاثة رجال :

ايوب ثابت

يغيّب الثرى اليوم لبنانياً صميماً هو في مقدمة الافذاذ النوابغ الذين انجبهم لبنان .

فالدكتور ايوب ثابت ، هذا الفقيد الكريم ، الذي تشيعه البلاد في مأتم وطني ، وتذرف عليه دمعة سخية ، هو ذلك اللبناني الكريم ، الذي أحب وطنه حباً جماً ، وخدمه بكل ما أوتيه من رجولة ونباهة ، واتخذ من ذكره جليساً وولداً . وهو ذلك السياسي الجريء الذي كتب في صفحة الحركة التحررية حوالي نصف قرن سطوراً يعيش على ضوئها في جماعة المناضلين البررة ويحيا بها كما يحيا الآباء في الابناء .

هجر فنه وطبه ، ليهب لبنان عقله وقلبه . وعندما ضاقت ميادين الحركة الاصلاحية عليه وعلى صحبه فاضطهدوا ، وطوردوا ، وشردوا ، ولى وجهه شطر المهاجر يضرم ثورة فكرية بين الجوالي العربية ، ويعمل في المحافل الكبرى خطيباً ، وفي الصحافة الدولية كاتباً ،

ليسمع العالم صوت بلاده ، صوتاً خالياً صريحاً مصدره صدر مقدود من رواسي هذا الجبل وروح ثائرة مؤمنة بمستقبل هذا الوطن . حتى اذا لاح بارق في جوانب الشرق يؤذن بفجر التحرر والانعتاق ، عاد فقيدنا الى وطنه يضع في متناوله ما اذخره من علم ومعرفة ، ومن تمرس واختبار ، ومن صلابة مرنتها التضحية وروضها الحنين ، فاذا بالدكتور ايوب ثابت وهو ذلك الرجل ذو العقيدة الثابتة والكلمة الواحدة والعزة الشخصية والانفة الوطنية . مواهب تجمعت في جسم نحيل تواجه التبعات والاعباء بقوة عجيبة وثقة بالنفس ، وهمة لا يعرف الوهن اليها سبيلاً . مواهب تجلت في الفقيد نائباً من الطراز الاول ، ووزيراً قوي الارادة ، ورئيساً يتفهم قدسية الواجب والمسؤولية .

هذه صورة صادقة صحيحة عن زميل في السياسة ، كان رأيه حجة في الآراء ، وعن رفيق في الحكم ، وعن رئيس دولة وحكومة لم يخش الاضطلاع بالمسؤوليات ، هو الفقيد العزيز الراحل المرحوم الدكتور ايوب ثابت .

فيا ايها العزيز المودّع ، ويا ايها اللبناني الكبير ، يعز على لبنان ان يشيعك الى المرقد الاخير ، وقد كان يود ان يرفق بك الداء لتساهم في عهده الاستقلالي الجديد مساهمة مجدية .

ويعز على رئيس لبنان ان يودّع فيك لبنانياً انوفاً ، وسياسياً شريفاً ، وفقيداً لا تطوي ذكره اطباق القبر .

انك حي خالد في ضمير لبنان .

بترو طراد

ايها الراحل الكريم ،

هذه آخرة كل حي ، وخاتمة كل عناء ، ونهاية كل جهاد . هـذه ثالثة الحالين يختلف معناها عن معنى اليقظة والمنام ، فنفس خالدة تصعد الى باريها لتؤدي حساباً الى اعدل من عدل وارحم من رحم ، وجسد فانٍ ينزل الثرى ، وذكرى يرددها الاحياء عمن رقدوا على رجاء القيامة الظافرة والبعث اليقين . عرفتك بيروت ابناً باراً لها ، اذ انت من اعرق عائلاتهـا حسباً ونسباً ، وخبرتك انديتها الاجتماعية فاذا بك رجل الاناقة والادب والظرف ، لين العريكة ، دمث الخلق ، سمح الطبع ، محباً للالفة والوفاق ، تتدفق الاخوّة عن لسانك لانها اخذت ينبوعها من قلبك في بلد نحن بحاجة فيه الى مثل هذه الصفات الانسانية لنعيش بصفاء وطمأنينة كأبناء بيت واحد لا يفرقهم دين ولا يخلفهم اختلاف العقيدة .

عرفتك المحاماة استاذاً كبيراً تلقى العلوم الاساسية يوم كان الاخذ بالعلم نادراً وتحصيله وقفاً عـلى النزر اليسير من ابناء هذه المهنة الشريفة . وعززت علمك بالاختبـار فظهرت في اشهر القضايا وكنت تلقي عليها من قلمك ولسانك مسحة تنير معانيها وتوضح مبانيها ، وتضمن لك شهرة واسعة ، وتجعل منك مرجعاً وملاذاً .

دخلت المجلس انتخاباً في اول عهده ، وقـد حملتك الى النيابة اغلبية عصمتك عن المزاحمة ، فكنت قيماً اميناً ورسول سلام ،

تناقش ولا تفوتك الحجة ، تناضل دون ان تخاصم ، تدافع دون ان تجرح ، فكان كلامك مسموعاً ومقامك مرموقاً ، وقد اتيح لك في تلك الفترة ان تساهم بوضع دستور الامـــة ، فأفرغت علمك واخلاصك في ارساء حجر الاساس لبنيان الحرية في لبنان .

ودخلت المجلس تعييناً يوم تخلى عنه المرحوم المغفور له شارل دباس فخلفته بالنيابة ورئاسة الندوة ، فنشرت في جوها عبـــيراً ، ونثرت عليها فيضاً من روحك الطيبة وحسن لقياك ورحابة ناديك ومرونة ادارتك وتوجيهك وحملك الميزان متساوي الكفتين بين النزعات .

القيت عليك مقاليد رئاسة الدولة في فترة من احرج الفترات ، ومرحلة من ادق المراحل ، فناديت بالسلام منذ توليك الحكم ، وعملت ما عملت لاخماد النار يوم كانت متأججة ، ولم يكن كل شيء بمقدورك في ذاك الحين ، ومع ذلك فلم تتخل عن اتزانك المعهود ، وعن نزعتك الى المسالمة ، وعن التفاني في الخدمة العامـــة ، متجرداً انوفـــاً ...

ولما انتهت المهمة الموكولة اليك غادرت الكرسي بالكرامة ، كما دخلتها بالاكرام ، وودعت المنصب الاعلى عن غير اسف ومرارة ورجعت تتدرع البساطة والاباء جلباباً ، والحكمة والعلم رداء .

ذلك ان شخصيتك الممتازة لم تكن محتاجة الى بهرجة الحكم وابهة المركز ، فوليته آمناً مطمئناً وطلقته راضيـاً مرضّياً ، وبقيت تتبع من علُ سير الامور فتشير بالمعروف ، وتعاون بالاخلاص ، وكنت موضوع الحرمة لما اتصفت به من خلق رفيع وادب جامع وعشرة مستطابة .

لذلك اقف هـــذه الوقفة حزيناً شاعراً بعظم المصاب فيك ووسع الفراغ بعدك ، اقف باسم لبنان الذي احببت ، وخدمت ، ونفعت ، لاودعك الوداع الاخير ، واسكب على ضريحك عبرات وصلوات تفيض من اعين رفقائك واصدقائك ومعاونيك ، واقدم التعازي الى آلك وانسبائك والى الطائفة الارثوذكسية الكريمة التي احاطت جسمانك بالرحمات والابتهالات بشخص بطريركها وكبير احبارها المبجل ، واساقفتها الكرام ، والى اللبنانيين اجمعين الذين يتطلعون الى مقرك بعد غيابك كما يتطلع الراؤون الى مكان النجم الذي افل ويكادون لا يصدقون انه توارى عن الانظار . تقبّلك الله عز وجل بالرحمة والرضوان ، واسكنك فسيح جنانه ونفعنا بذكراك .

سليم تقلا

يا اعز الراحلين ،

خمس انصرمن كأنها غمضة جفن او غفلة عين .
كنت نتاج القرية اللبنانية والذكاء اللبناني والدعائم الموروثة .
لمعت منذ ترعرعت ، فكنت التلميذ النبيه والطالب المثالي .
دخلت الادارة صغير السن وكأن الكهولة هيمنت عليك منذ شبابك .
كنت القاضي النزيه السريع التدبير في الفترة القصيرة التي مررت بها في قصر العدل . دعيت الى تولي المحافظات فكنت الاداري المرن الصلب .
قاتلتك الخصومات العنيفة بشتى الانواع فلم تنل منك ، والتفّت حولك الصداقات النزيهة فكنت لها اميناً وفياً .
دخلت الحياة السياسية مرفوع الجبين ، وحفظت من حياتك الادارية في المعترك ذلك الانتظام الذي تعودته . فكنت تدخل الوزارات بداعي الواجب وتتركها غير آسف بداعي الواجب ايضاً .
جاهدت واسست وبنيت مع من جاهدوا واسسوا وبنوا ، واعتقلت مع من اعتقل ، وعدت تعمل العمل المفيد وتعدّ نواة صالحة لتمثيل لبنان في انحاء المعمور . تعمل كثيراً بهدوء وجد وصمت وصبر ، لا تحيد قيد ذرة عن المبدإ ، ولا يعرف الملل

والقنوط الى نفسك سبيلاً .

وما ان بلغت الذروة او كدت حتى صرعك الموت كما يصرع الجندي في ساحة القتال . لم تشفع لديه بنيتك السليمة ، ولا لهف رفيقة لك هي زينة المحصنات ، ولا صلاة ملاكين طاهرين ، ولا حنان الاقرباء والانسباء والاصدقاء . فلا عجب ان بكينا لفقدك بكاء مريراً ، واعيانا الكلام يوم اودعوك التراب باللهفة والحسرات والدموع المذرافة كما يودع الكنز الدفين في الارض الام حتى تدعوك ابواق الملائكة في اليوم الاخير . ولولا عزاؤنا بمن تركت واملنا بانهم ورثوا ذكاءك واخلاقك وشمائلك الكبيرة وبأخ يقتدي بك ويسير على منهاجك لضاقت الحيل ببلد كلبنان هو بحاجة الى جميع ابنائه المخلصين الساهرين عليه في اليوم العصيب .

فنم يا اعز الراحلين — رحمات الله عليك — محمود السيرة ، خالد الذكر .

فهرس

ان أنسَ لا أنس . ٥
شخصيته . . . ١٢
الربان الحكيم الشجاع . ٢٨
الرئيس الاديب . ٣٦
الكاتب والخطيب . ٤٠
خطبه ٤٧
منتقيات من خطبه . ٤٩
عهد الرئيس للأمة . ٥١
ذكرى الرئاسة والجهاد ٥٤
لبنان ومصر . . ٥٧
خطبة الفيحاء . . ٥٩
في سبيل الوحدة . ٦٥
قضية فلسطين . . ٦٦
ذكرى مؤثرة . . ٧٠
كيف يريد الشعب . ٧١
ذكرى راشيا . . ٧٣
الخروج من العزلة . ٧٥
شجب العزلة . . ٧٧
المحامون جنود القانون ٧٩
رجل الاقتصاد في المعركة ٨٢
الراعي ينشد خرافه . ٨٥
٢٢ تشرين الثاني . ٩٠
ذكرى الجلاء الاولى . ٩٣
فكرتنا في دنيا الانسان ٩٦
خطبة الجلاء . . ٩٨
خطبة التجديد . . ١٠١
يمين التجديد . . ١٠٥
رسالة قاعة العمود . ١٠٩
الخلود لكم . . . ١١٧
المرء كثير باخيه . ١١٩
غار تشرين . . . ١٢١
الشجرة اللبنانية . . ١٢٥
يا اطفال لبنان . . ١٢٨
المحبة اقوى من الموت . ١٣٠

عودة الامير . . . ١٣٧
ذكريات . . . ١٤١
زحله . . . ١٤٧
ابو العلاء . . . ١٥٠
لبنان ارض المدنيات . ١٥٤
في عيد المولد . . ١٥٧
ابقَ معنا يا معلم . . ١٥٩
المدرسة والوطن . . ١٦١
ان لم يبنِ رب البيت . ١٦٣
تأملات ٤٠ عاماً . ١٦٦
كلماته في الرجال . ١٧١
ايوب ثابت . . ١٧١
بترو طراد . . . ١٧٣
سليم تقلا . . . ١٧٦

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١١	للعربي	للعربى
٤٢	٩	بالمفاضلة	بالمناضلة
٤٢	١٤	تزاد بعد كلمة (الشعب) عبارة : في كل مناسبة	
٩٥	٩	٢١	٣١

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع نصار
في اليوم العشرين من ايلول ١٩٥٠ .

DS
87.2
.K45
A2

08943060
DS 87.2
.K45 A2 C1

OCT 9 1974

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU52888800
DS87.2;.K45 A2 al-Shaykh Bisharah a